

حکایت

obeikandi.com

© وكالة سفنكس سلسلة إبداعات عربية

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى: القاهرة ٢٠١٦
رقم الإيداع: ٢٠١٦/٣٦٤٨
ISBN: ٩٧٨-١٥٣٠٦٨١٠٤٤



وكالة سفنكس

وكالة سفنكس للترجمة والنشر والتوزيع
٧ شارع معروف - الدور السابع
وسط البلد - القاهرة
ت/ف: ٠٠٢٠٢ ٢٥٧٩٢٨٦٥
موبايل: ٠١٠٦٨٨٠١٥٤٥
www.sphinxagency.com
info@sphinxagency.com

سلسلة
إبداعات عربية

جراحات
قصص ورسوم
أشرف إبراهيم

تصميم الغلاف و التنسيق
الداخلي
أحمد علي

جميع الحقوق محفوظة للناشر، ويحظر نشر أو اقتباس أي جزء من هذا العمل أو كله إلا بإذن كتابي، ومن يخالف ذلك يتعرض للمساءلة القانونية.

Sphinx Agency © 2016

جراحات

قصص ورسوم
أشرف إبراهيم



وكالة سفنكس

مقدمة

في الحقيقة لم أفكر بتحدٍ كهذا، أن تكتب مئة قصة مئة كلمة فقط، ولكنني وجدت نفسي أخوضه، فاجئني ذلك التحدي بصعوبة العثور على موضوع قابل للصياغة بهذا النوع الفني، ولكنه قالب انتقلت للكتابة فيه عن حب كبير كقاريء شغوف به، فمن الشعر وتحولاته التي خضتها بكل أشكاله تقريبا، للرواية والمقال، وكنت في بداياتي الأدبية بدأت بالمسرح والكتابة إليه، ولكنني لم أجد نفسي فيه، فتحولت عنه واستمر انتقالي، فأنا أميل للدفق الشعري أكثر من أي شيء، ولعلكم ستجدون أثره في روح تلك المجموعة، وكنت دائما بكل تلك التحولات أميل للتكثيف والاختزال. أما عن الرسم فلم يفارقني أبدا في كل الحالات، وإنما يتعد ويقترّب كثيرا من رؤيتي، حتى يكتمل في مجموعات ومشروعات بصرية لدفقات وحالات مختلفة، ما أمكنني التعبير عنها بالكتابة قط، وإنما ولدت في وعيي بصريا، في هذه المجموعة لم تكن الرسوم معادلا بصريا للنصوص القصصية أبدا، وإنما هي نوع آخر من التجلي المفارق لحالات الكتابة، طريقة أخرى من طرق التفكير الإبداعي، فجراحاتي

المكتوبة لا تقابلها جراحاتي المرسومة، وإنما هي جراحات موازية، لها منطقتها وعالمها الخاص، ربما يلتقيان أو يتقاطعان بين دفتي هذه المجموعة، وبالتأكيد هناك صلة ما بينهما، فبتعريف العالمين، أو بجمع النظرتين المكتوبة والمرسومة تكتمل رؤيتي الإبداعية، وإن كان لا يرى البعض ضرورة لهذا، فلكل عالم أدواته وعناصره ومنطق رؤيته، إلا أنني أرى في العالمين معا ضرورة لرؤيتي المتكاملة التي لولاهما ما كنت في هذه الدنيا.

أشرف إبراهيم
القاهرة: شتاء ٢٠١٦

حسبة

استلم راتبه وأسرع للشارع، لم يكن لديه لحظة،
ليعد نقوده، وهو ذاهب لعمله الثاني، فقد
انتظر طويلاً حتى يتقاضى راتبه، بعد أن خصم
ربع يوم لتأخره، بدأ العمل ثم انقضى دوامه،
منذ خرج من المبنى يتحسس جيبيه، وحوله
العربات وأنوارها الباهرة في ليل ممطر، ولا يفكر
إلا في قسمة راتبه بين امرأته والدائنين والإيجار
والأقساط والطعام والتبغ وغيره، كل مرة يصل
فيها لحسبة خاسرة، تعثر في أحجار الطريق مرات،
أعلى أن أجد عملاً ثالثاً، أم أقنع زوجتي بالعمل،
والطفل وأمي الكبيرة، ويعدُّ النقود مرات، أراد
أن يتأكد من فئة ورقة منها على ضوء عربة
قادمة، قذفته السيارة للرصيف جثة هامدة.

دائرة

ربما لم ينم على الإطلاق، وصحا على صراخ الجيران
يتعاركون، ود لو يختفي من ذلك العالم الفقير الصاحب
القدر، لكن ماذا يمكنه أن يفعل، وتلك هي الحال، لا
يستطيع منها فكاكا، أخذ حقييته، ومضى للعمل، ككل
يوم هي السحن نفسها التي يكرهها بشدة، على بوابة
المبنى الآيل للسقوط، نفس نبرة اللوم في صوت ذلك
الحارس البغيض:

- لماذا تأخرت يا سيدي؟

ما عدت أطيق صعود تلك الدرجات، ولا عبور تلك
الردهة، ولا رائحة تلك الغرفة، ولا المبنى كله.
رسم دائرة بذراعه في الهواء، مطوحا بالحقيبة بأقصى
قوة من شرفة المبنى، وقفز وراءها؛ هنالك استيقظ
مذعورا على أجراس المنبه وزعيق الجيران.

شِئَاء

مر المسكين، صافحنا بعينين مبتسمتين، وكفين مفتوحتين لأي احتمال، يسألنا شيئاً غير تلك الابتسامات المحنطة التي ندفعها إليه، كلما مر كل شتاء، أشفقت عليه، وكنت أفكر أن أعطيه شيئاً، ولكنني لم أتجاوز باب المقهى، وناديته مرة وأخرى ولم يلتفت، ساحباً عصاه التي يجرها على الأرض دائماً لا تفارقها، وصرته التي في أقصى طرفها تتدلى على كتفه، قدماه تزحفان بصوت يحمل هم عمره، وبحذاء كثير الثقوب، وكأن قطيعاً يمشي خلفه، عدت لمكاني الدافئ مستغرباً، قال الشيخ الكبير الجالس قبالي، لا تجهد نفسك إنه أصم، فعدت أبحث عنه، كان قد اختفى من خط الأفق، ربما علي أن انتظره في رحلته الشتوية القادمة.



حالة

تذكر كل الأسماء التي تخفي بها، وآخرها الذي قاله لرئيس العمال، والذي أتى به، والذي لولاه ما نجا من قبضة ذلك المخبر الحقير، علي تلك المقهبي، والذي كان يصر أن يسحبه إلي مركز الشرطة، لمجرد أنه ليس معه إثبات شخصية، وأخبره أنه أحد عماله الجدد، وأمر له بشاي، وأخذه دون أن يسأله عن شيء، حتي جاء في الليل إلي المحجر النائي، ما اسمك؟ ومع تلعثمه ولم يرد، فقال:

- لا تخف إنك في مأمّن هنا.. هنا ستعمل وستعيش كغيرك، كلهم مساكين مثلك، لا تخف يا بني..

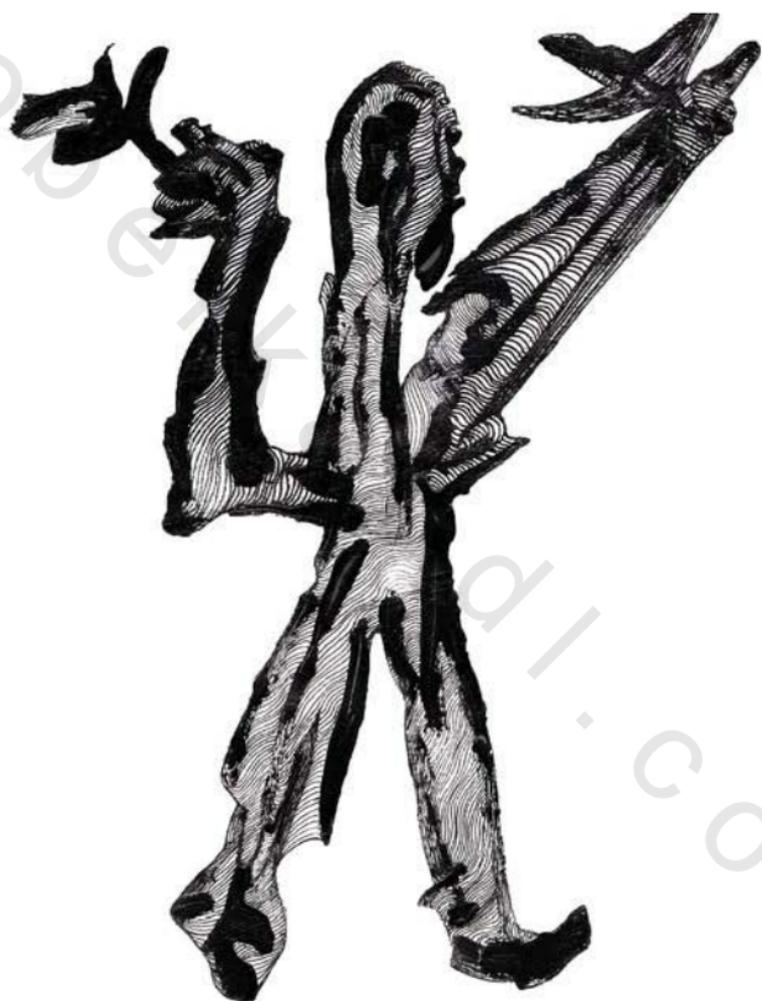
من ساعتها ظل يقطع الصخر حتى شاب، وأصبح رئيساً للحمالين بنفس المحجر ما غادره قط.

جريح

هبط على الحذاء كالصقر، ما إن انتهى منه، حتى طلب شايا، وجلس منتشيا يدخن سيجارته الوحيدة، هائما بالذكريات والحكايا، غائبا تماما عن المقهى المكتظ، حتى أزاحه النادل عن كرسيه، لزبون يريد أن يشرب شيئا، جلس على رصيف المقهى لينهي سيجارته، ما إن رماها بحزن، حتى جال بعينه في المقهى، والتقف عدته، وحط بها أمام شيخ كبير، ما إن رآه حتى انحنى للحذاء يخلعه، فوضع قطعة الورق المقوى تحت قدميه، وراح إلى ركنه المعهود يلمع الحذاء، وأخذ يغني لنفسه بصوت مجروح، عاد للرجل، أسقط في كفه العملات، وهو يتلقاها في سعادة كالأطفال، ثم جاء بسيجارة جديدة، وطلب شايا، ومضى مع الذكريات.

عقد

شعرها مسعث متسخ، ملبسها ممزقة ومرقعة، حول رقبته عقد من قطط ميتة بحبل من الليف الخشن، وتسحب وراءها أربعة كلاب شرسة بأعناقهم سلاسل طويلة، وتتسول بالشوارع، رأيتها تقضي حاجتها أمام المركز التجاري الفخم، ساعتها انتصب كلابها حولها في الاتجاهات الأصلية الأربعة، وصاروا صفا واحدا ضدي، نباحهم ينزع القلب من الصدر، وكبرت رؤوسهم وأسنانهم فغدوا كالتماسيح، وتحولت المرأة إلى نار عالية، ثم خمدت فجأة، وصارت فحما يدخن، أفقت وقد أفلت من فك أحدهم، فوقعت عن سريري، لما ذهبت للعمل، كان بعض الزملاء يقفون حولها صفا، وكلهم غابسون في وجهي، والسيدات على مكاتبهن غير عابثات، من قبل أن ينطق أحد، قدمت استقالتي.



إجهاد

عاد من عمله منهكا، لشقته التي يستاجرها لأسبوع سيقضيه بالمدينة، ما إن فتح الباب حتى رأى امرأة عارية تماما، قبّلها وكأنه يعرفها، وهي تعرفه جيدا، حملها إلى سريرها، وقضيا ليلة رائعة، استيقظ، لم يجدها، وتفقدتها في الشقة كلها، لكنه اكتشف بابا بالمطبخ، لا يمكن غلقه، يمكن أن يمر منه شخص نحيف، لكن ليس لامرأة بضة مثلها، فأنصرف للعمل، وانقضى الأسبوع سريعا، لم يبق سوى ليلة وحيدة، قضياها معا، وعندما نام حلم بامرأته تركض من كلب شرس، ودخلت عليه، وهو نائم، فقام يطارده طول الليل، استيقظ على لسان كلب يلعق خده، فارتعب، وتحولت امراته لكلبة، وركضت لباب المطبخ، والكلب يلهث وراءهما.

عمل

استلم أغطية الطاولات مبكراً، بصباح صيفي شديد الحرارة، بأول يوم عمل له في المطعم على المسبح بالفندق الكبير، توقف عن تخيل ما سوف يراه، لكنه كون صورته مما سمعه من زملائه، مجرد سيقان وأذرع عارية لنساء غريبات، انتهى من تغطية الطاولات، ووضع مطفأة سجائر لكل طاولة، وبدأ ينظم وينظف الكراسي، فاجأته ضحكات صاخبة آتية من الممر الطويل، فنظر من بعيد، فوجد امرأتين عاريتين تماماً، ففرك عينيه، واقتربتا، تجمد مكانه، لما وقفتا أمامه عاريتي الصدر، وهناك خرقة صغيرة تغطي وسطهما، أعطى كل واحدة منشفة كبيرة، كجزء من عمله، ولاحظتا أنه لا يرفع عينيه لهما، فداعبتاه، وهو يتمتم أصبحنا وأصبح الملك لله.

الظل

سار بجواري، لم أنتبه لما يفعل تحديداً، من وقت
لآخر يقذف الحائط بحجر، ويسب أحداً، ظننته
يسبني أول الأمر، لكنه حين يمر بمنطقة مظلمة
يستشيط غضباً، ويقسم أنه سيجده، وأنه لن
يستطيع الهرب مهما فعل، فتأكدت أنه ليس
يعنيني بسبابه، ويظل يجمع حجارة الطريق، فكرت
أن أرجع من حيث أتيت، ولكن الوقت متأخر،
وأنا منهك، وأين سأذهب، وليس هناك من طريق
آخر للبيت، ويظل يسب الذي اختفى منه، فجأة
حين ندخل في الضوء تتحول يده لراجمة صواريخ،
لا تنضب منها الحجارة، فوقفت أتأمل المشهد، وما
يفعله ذلك الرجل، فأصابني الدهول، وسقطت
أرضاً من الضحك، إنه في معركة حامية مع ظله.



صدام

يبحث عن الشحاذين، كل مساء يجوب الشوارع، ينتقي منهم واحدا، أول ما يلقاه يعطيه فئة نقدية كبيرة، ويأخذه لأرقى مطعم بالمدينة، ويطلب طعاما وشرابا لاثنين، ويؤكد أيضا أنه الأفضل، ولا يأكل أو يشرب شيئا قط، ما إن يفرغ الشحاذ، يدفع الحساب له، ويوصله حيث وجدته، ويتركه ويمضي، تصادف أن فعل الشيء نفسه مع الشحاذ ذاته، دون أن يتذكر، في السيارة مد الشحاذ أطراف أصابعه لفخذه، فثار عليه بشدة، وامتقع لونه، صارخا فيه أنه يعاني المرض العضال، يمنعه أن يأكل أي شيء، ويتغذى بالأدوية، فيسعد كثيرا حين يأكل الناس ما يحبه أمامه، وبكى، خرج الشحاذ صامتا، فأسرع بالسيارة بعصبيّة، فاصطدمت بشجرة.

للسماء

بعد كثير من الشتاءات، لم أعدها، عاد المسكين، بحذاء جديد، ما زال يجر عصاته التي لا تفارق الأرض، وفي طرفها صرته التي بللها المطر، ويدها مبسوطتان، وفي عينيه ابتسامته الدائمة؛ خطى بضع خطوات، وعلى أول كرسي في المقهى، جلس شاردا، وكأنه يرهف السمع لشيء، التفت فجأة، اندفع لطاولتي، مديده للكأس، قذف بالماء في جوفه، وأشار للشاي الذي تتصاعد أبخرته، وقبل السماح بأخذه، كان قد رفعه بين يديه، ورشف رشفة، وعاد حيث ألقى عصاه، جلس مطرقا، يحدق في السماء، وضع برفق قدح الشاي الفارغ على أقرب طاولة، نظر إلى الأرض، وأرجع ظهره لكرسيه، ورفع رأسه للسماء، وسقط على الأرض ميتا.

إرغام

هناك ضبع في عام أنثى، وفي آخر ذكر، لسانه يبري العظم بري السيف، لكن الذئب لا يبارى في كسر العظم بين لحييه، والأسد يركض في الليلة ثلاثين فرسخا في طلب الملح، ويأكل كل خمسة أيام، أعينهم كلها تضيء ليلا، لم أدرك كل هذه الحقائق حتى تلك الليلة، حيث نامت رغما عني عيني في الخدمة، حاولت أن أكون الذئب، فصارت تنام عين واحدة من عيني، كلما أرغمت على شيء أكرهه أو لا أطيقه، وبعدها انقسم كل شيء لدي نصفين، وصرت أفعل شيئا بيمينتي، فتهدمه شمالي، وكلما تقدمت خطوة، تأخرت مثلها، فغدوت أسرع الناس في الركض بنفس المكان، حتى صرت ذئبا حقيقيا.



جراة

أجلسها في مكان خاص بالمقهى، وأخذت تعدّل من زينتها، وكأنها وحدها في غرفة نومها، والمقهى كله عيون، وأتى بشايبها ونرجيلتها، وهو يضحكها، وهي تدخن شاردة العينين في هاتفها، وحين غادرت المقهى، ودفعت بورقة كبيرة للنادل، رفع كلتا يديه ممتنا، وعبرت الممر الطويل، برنة كعب عال، بملابسها المحبوكة على جسد فاره، وعطر مثير، وبميوعة لعوب، لم يفتح أحد فمه بكلمة واحدة، برغم تهدل شفاه أكثرهم، وشخوص وجوههم عليها كالتماثيل المحنطة، وحين اختفت، تصاعدت اللعنات والاستعاذات والآهات، جميعهم يحسدون النادل، فانفرجت شفتاه الغليظتان عن سنته الذهبية، وفرك شاربته، كأنما استعاد أربعين سنة من عمره.. وصرخ: آه.. ليس لي أسنان لكل هذه الحلاوة..

حالة

جلس مضطرا، بعد العصر بقليل، تحت ظل البنايات العالية بذلك المقهى الخفي، ببطن المدينة المكتظة، في حرج شديد، فنادرا ما خرج في ذلك الوقت، إلا إذا كان مرغما، لم يسأله النادل عن شيء، الجميع يدخنون، ما بين نرجيلة وسيجارة، وبعضهم يشربون أو يأكلون، مع القيث والصوم تلح معرفة الوقت عليه، فينظر للساعة بقلق دائم، منتظرا أصدقاءه، مسائلا نفسه ببراءة أكل هؤلاء من المرضى؟ لعلمهم مسافرين!! في لحظة صمت نادرة فجأة رن هاتف، وآخر، أغلب الهواتف رناتها أناشيد وابتهالات وأدعية، وجميعهم يردون، كما لو كانوا مرهقين من العطش والحرارة.. ويغطون هواتفهم بأكفهم متحاشين ضجيج المقهى.. السلام عليكم.. السلام عليكم.. رمضان كريم..

إمام

خلع بزته الرسمية، وسبقهم إلى الوضوء، وكان أصغرهم سناً، وقفوا جميعاً، ربما كي ينهي وضوءه، برغم رحابة المكان في المسجد، وما توضأ أحد قبله حتى انتهى، وقام لصلاة ركعتي السنة، كلهم اتخذوا أماكنهم خلفه بمسافة، وحين أقيمت الصلاة، تراجعوا جميعاً، وقدموه ليوم المصلين، قرأ الفاتحة كما لو كان يتلو بياناً عسكرياً، وبنفس الطريقة.. الرحمن.. الرحمن.. الرحمن.. بدا متلعثماً في قولها، أسرع أحد مساعديه الذين حملوا له بزته حين كان يتوضأ، رافعا يده كما لو كان يؤدي التحية العسكرية، متردداً تقدم نحو أذنه مباشرة، وبصوت مغلوب على أمره: علم القرآن.. علم القرآن يا باشا.. وعاد مكانه في صف المصلين.. الله أكبر..



نادل

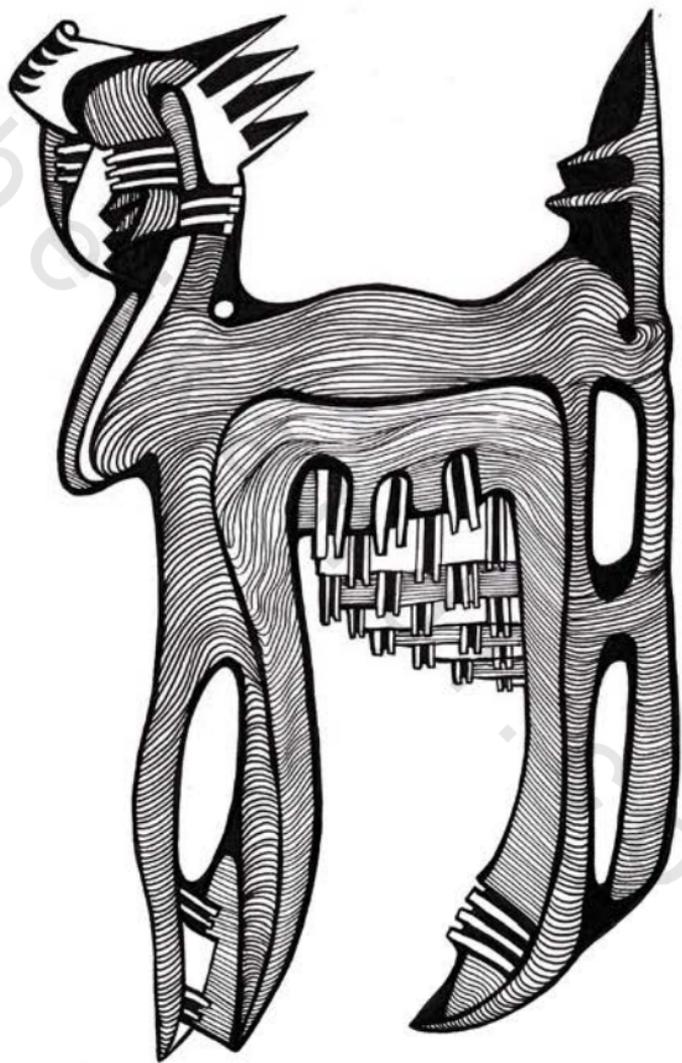
حين سأله عن سعر العملة، رد بسؤال استنكره بشدة، منذ متى وأنت تعيش هنا، وتركه ومضى، من ساعتها يسأل نفسه كل يوم متى سأرجع، يعد الأيام، ويعود ليجد نفسه غريبا، لا مكان له في تلك الأرض، وبين هؤلاء الناس، ولا هذا الزمن، فيرجع لغربته، يجمع المال، ويحسب فرق العملة، ليجد نفسه غنيا بمقاييس بلده الفقير، فيقول لنفسه بالمال أستطيع فعل أي شيء، وحين أعود سأكون أكبر وأقوى وأغنى، وسيقدرون نجاحي في غربتي، أنا في الحقيقة أعمل نادلا، لا ضير، لا أحد سيعرف أبدا، أفاق على يد شرطي تسأله عن هويته، فأخرج جواز سفره الأجنبي بكل احتقار، أتعرف مع من تتكلم.

غثيان

لم أضع مساحيق زينة، أو أرتدي ثيابا خلاعية، وقصرت شعري، وأحيانا أغطيه، فتلك البلاد محافظة، وأهلها متدينون، كما فهمت، ومع هذا، يلاحقونني كشابة تمشي عارية، إن لم يكن بأفواه تتحرك بشهوة بالغة، ولا أفهم ماذا يقولون بلغتهم المحلية شديدة الصعوبة على فهمي، فبأصابعهم، وبأيديهم وبأرجلهم، يعاملونني كعاهرة أتسكع في الشوارع، من كثرة ما عشت ورأيت من هؤلاء الناس، صرت لا أركض وراء أحد لامس إليتي أو مس نهدي، لكني لم أمتنع أبدا عن الامتناع الشديد، والإحساس بالغثيان، لكن أكثر تلك الحوادث التي لن أنساها، حين تبعني رجل أشيب، ودخل معي مصعد الفندق، ثم خلع معطفه، فصار عريانا كما ولدته أمه.

قزم

ظل يزعق فيهم: ستظلون هكذا.. واقفون بلا حراك.. لا تعملون شيئاً أبداً.. متى تتحركون إذن؟ ألا تتعلمون مني؟ أنا.. أنا أحدثكم.. فجأة سكت، وسأل نفسه: وماذا أفعل أنا؟ غاب عنهم سنة، ثم عاد يزعق فيهم: أما زلتم لا تعملون شيئاً، أنظروا ماذا أفعل.. جربوا.. لن تخسروا شيئاً.. حاولوا.. وغاب عنهم سنة أخرى، وعاد يصرخ فيهم: بربكم حاولوا مرة.. وراح سنة أخرى، ثم رجع، جلس على أريكة الحديقة ينظر إليهم، وقد صاروا أشجاراً باسقة، تنمو زهورها.. فانتبه، لقد أخطأتم.. بربكم سامحوني.. إني كنت أحسبكم مثلي كسالي.. كنت فقط أحاول أن أدفعكم لفعل شيء.. أي شيء.. لكنكم غافلتموني، وتناولتم، وتركتموني قزماً بلا زهور.



رؤية

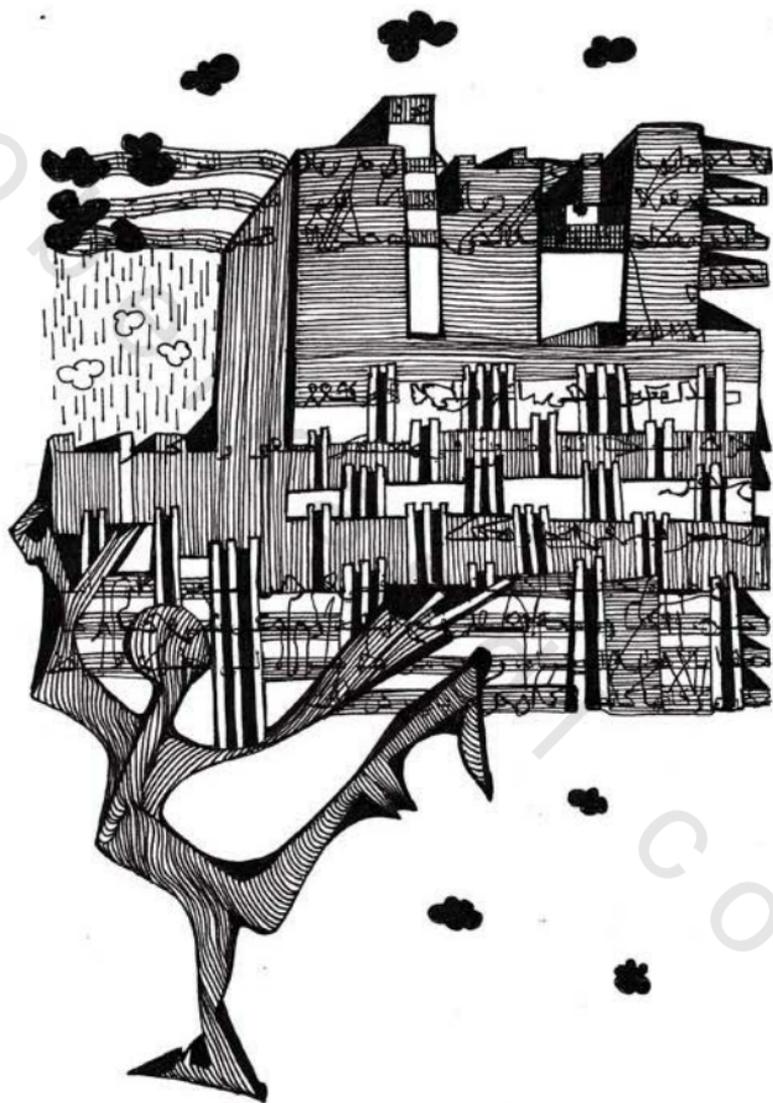
نظر في المرأة، فزرع جدا حين رأى شعرة بيضاء في رأسه، فنزعها من فوره، في اليوم التالي، نظر للمرأة ثانية، فوجد الشعرة ذاتها في نفس المكان، فأزالها أيضا، وبعد يومين، وجدها في مكانها لم تزل، اقترب أكثر من المرأة، لاحظ شعيرات بيضاء أكثر من أن ينزعها، ابتعد قليلا عن المرأة، عاد له لون شعره كما كان، ثم اقترب فرأها بيضاء، فقال في نفسه، يبدو أنني كبرت، ذهب للطبيب، وصار يرتدي النظارات، وخزانة أدويته تزداد، ثم غدا يسير بعصاة، يوما خلع النظارات، ونظر في المرأة، شعره عاد أسود كما كان، فامتنع عنها تماما، ولم يحمل عصاته بعدها، وتوقف عن الأدوية أيضا.

يوم

استيقظ منشرح الصدر، مقبلا على الحياة، يود أن يعانق كل كائن يقابله في ذلك اليوم المشمس، ولم يدر لماذا، صادف أناسا كثيرين عرفهم، لم يقابلهم من سنين، في أماكن كثيرة لم يتوقع زيارتها اليوم، وحين جلس يشرب شايا في ذلك المقهى الذي نسي أنه كان مقهاه الأثير يوما، وجد كل ما فيه لم يتغير، ولم يتغير أصحابه، وتداعت ذكريات وصور من ذاكرته الباهتة، فترحم على تلك الأيام وناسها، ودفع آخر النقود في جيبه ساعتها، وعاد لزوجته العجوز ممتنا، قبلها وأطال في حضنها، وتحسس شعرها، وذهبت لتعد العشاء الذي يحبه، وعلى كرسيه المفضل جلس، وكعادتها تكلمه من المطبخ، لكنه غافلها ومات.

عجز

أصبحت أنام واقفة، وصرت مرتابة من كل شيء، فأبي جرح صغير كفيل بقتلي، فدمي متخثر، وربما أموت بأي لحظة، أفتح كل النوافذ، والأبواب، والتلفاز بحجرة المعيشة، والمذياع بغرفة النوم، أتساءل لماذا أهملوني، وتركوني هكذا، كل تلك الأصوات التي حوالي تزيدني وحشة، لكنني لا أنام قبل أن أغسل الأطباق، وأنظف المطبخ، وأعد دائما طعاما قليلا للغد، فأنا وحدي، إن مت فمن يأكله، أطعم القطط من خارج الباب، فقد كبرت، ولا احتمل تنظيف ما يفعلون، فصاروا يوقظونني بخربشة على الباب، فأعرف موعد إطعامهم، حتى توقفوا فجأة، وعرفت بعد فوات الأوان، أنهم أودعوني سريرا في المستشفى، وكل يوم أنظر للمرأة، وأضع المساحيق وأنام.



تماسك

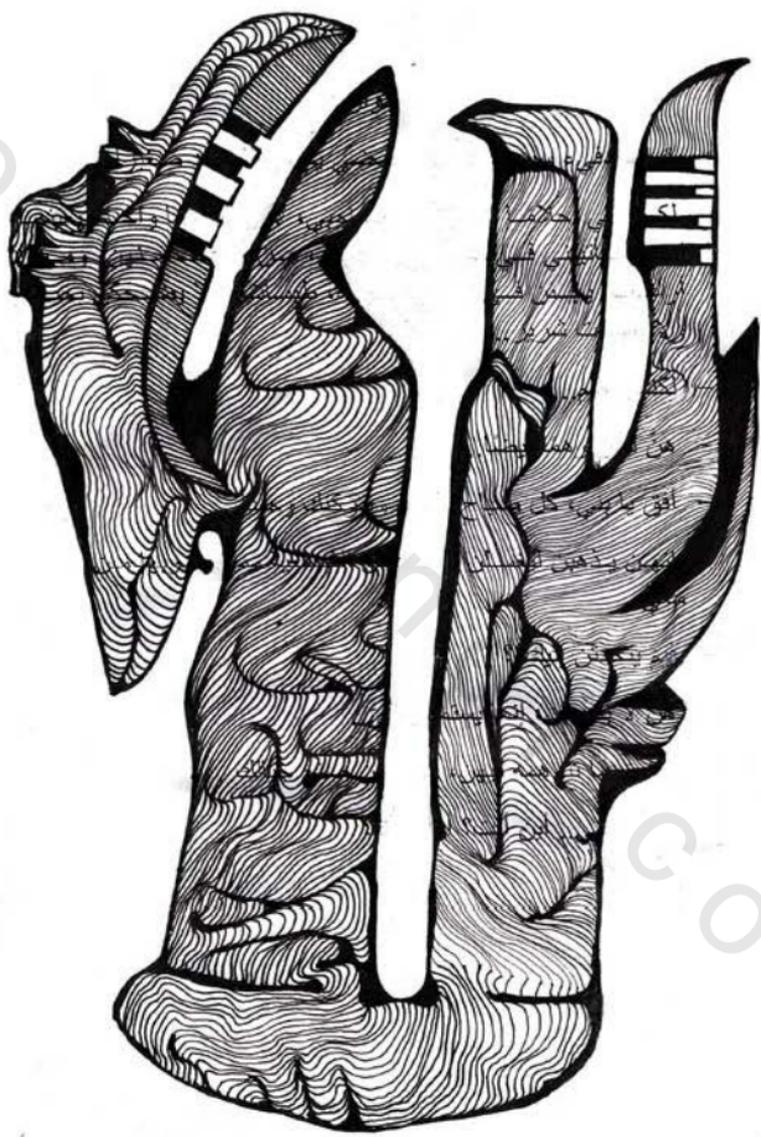
مجرد ألم بسيط أخذ يتصاعد، ذهب للطبيب، لما نظر لموضع الألم وورمه، وأجرى الكشف الروتيني عليه، أقنعه أن يقوم ببعض الفحوصات والتحاليل، لم يبال كعادته، وظنها مبالغة من طبيبه، أو ربما يريد لأصدقائه بمعاملة التحاليل والأشعة بعض العمل، فلما زاد الألم، استجاب لأوامره، ولما عرف من الطبيب أن حدسه كان صحيحا، وأن هناك مرضا عضالا تمكن منه، بدأ متماسكا، وكأنه أمر عادي، ولما خلا إلى نفسه، نظر للأشعة والتحاليل، وبكى ليلتها، لكنه ظل حتى مات فجأة وسط الناس على المقهى، مستمتعا بأحاديثهم ومضاحكتهم، والسهر حتى الصباح، لم يعيش بعدها لحظة لنفسه، ولا أحد يعرف عنه شيئا، وخرج وراء نعشه الجميع.

كسر

كانوا حولي حين انكسر ذراعي، كل يوقع على الجبيرة، جمل وعبارات كتبوها للذكرى، صار ذراعي جدارية عظيمة مشغولة بالتواقيع، كل يترك أثره ويمضي، ربما لعلمهم أن كل ذلك سيقذف يوما ما بسلة النفايات، ويصبح مجرد ذكرى عارضة لحادث مرّ، لكنني رأيتهم حين انكسرت أنا شخصيا، لا يحتمل أحد أن ينظر إليّ، تركوني تنهشني الوحدة والكآبة، ما فكر أحد في مكاملة هاتفية لدقيقة لا أكثر، وما كنت أنا نفسي أفكر بفعل هذا، وبدا كل ذلك على نفسي ثقيلًا جدا، لم أفقد إيماني بهم وحسب، بل فقدت الإيمان بذاتي، فوقعت مكسورا أمامهم، ولم ينتبه أحد، ما عاد أحد هناك، وكأني لا أحد.

نظرة

حين زرنا صديقتنا بعملها، بتلك المقبرة الأثرية الصغيرة، أخذنا جمال المكان وروعته، كان العمال يستمتعون بوقتهم بغناء صوفي بديع، وبرغم أن بعضنا لا يفهم اللغة التي يغنون بها، لكننا تأثرنا جميعا، وحين رأينا أجزاء الموميאות المتناثرة بين الركام، وتلك الجمجمة المخيفة على المائدة تشخص إلينا، كما لو كانت تتفحصنا بأشعة إكس، وتتأمل خبايانا، والممر الصخري المحفور عميقا في الجبل، غمرتنا رهبة الموت بقوة، وجه صاحبتني أخذه الحزن، وصاحبة المقبرة تشرح الرسوم الجميلة على الجدران المتآكلة بوجه غير عابئ، والعمال راثون غادون من بطن الجبل لسطح المقبرة، عند مغادرتنا نظرت لتلك الجمجمة، وجدتها تحولت ناظرة باتجاهي، تبتسم في سخرية بلا اكتراث.



تجربة

دعانا أستاذنا للغداء بمنزله الفاره، قبل أن يتم قبولنا للدراسة معه، فوجئنا أننا وحدنا، من البلد نفسه، فسألنا عن الآخرين، فأبأنا أنه في الحقيقة متحير من أمرنا، فهناك مقعد واحد شاغر للدراسة، وعليه اختيار أحدنا، حضر الطعام، وبدأنا نأكل، فيما هو ينظر إلينا، وإلى طريقة أكلنا، لم يبدأ بطعامه مثلنا، ولما انتهينا، كل منا أخذ يحاول إثبات جدارته بالكروسي الشاغر، فأوقفنا، قائلاً لقد حسمت أمري، فأصابنا الهلع، فألحنا عليه كي نعرف، فأخبرنا أن دراستنا تقوم على التجريب والاختبار، وأحدكما لم يذق طعامه، ووضع الملعق فيه من قبل أن يأكله، لم يختبره، فكيف يحتمل التجريب، فاصفر وجه أحدنا، وتهلل وجه الآخر.

صندوق

كأن للريح صوت يحذره من شيء ما، ينذره بشيء غريب حيال تلك المدينة الوادعة القابعة في سفح الجبل، كل مساء يجلس في شرفته وحيدا، بانتصاف الليل، ونوم المدينة، تصحو الريح، وتبدأ معه حديثها الهادر، في البدء ظنها تصطفيه بذلك الحوار العاصف، وبعد ليال، استيقن أن هناك كائنات كثيرة تجتبيها الريح بأحاديثها، في صندوقه الزجاجي المحكم بالطابق الأعلى من المبنى، تدوم به الريح ويذهبان معا برحلة بعيدة، فكر ليلة أن يفتح نافذته للريح، مع أن صاحب البيت حذره ألا يأمن للريح، وألا يصغي لها أبدا، ما إن فتح النافذة حتى اقتلعت الريح بصندوقه الزجاجي الذي تهشم تماما، ورمت به فوق الجبل.

موقف

بدا الليل موحشا، وحده صاح بين الصخور، جسده
مثقل بين أجساد من الشخير، وسواد لا تنتهي
عذاباته، عواء ذئاب بعيد، ونعيق بوم لا ينفذ،
يأتس بالأنفاس الثقيلة حواليه، وهسيس النار بمدخل
الخيمة، عيناه متحجرتان على فوهة الخيمة، ما إن
جلس ومد ساقيه بطولهما، متحسسا كفي قدميه،
حتى أدرك ما أنساه الخوف من تعب، فأمال جسده
ليرى فوهة الخيمة دائما، موقنا أن هذه الفوهة سيأتيه
منها الخطر، أي خطر قد يأتيه أكثر من الموت، وهل
الموت خطر في حالته أصلا، أهكذا أموت في خيمة
حقيرة كهذه، بين هؤلاء الموتى، أهكذا أستريح، انتفض،
خرج من باب الخيمة، تعثر فسقط من أعلى الجبل.



سراب

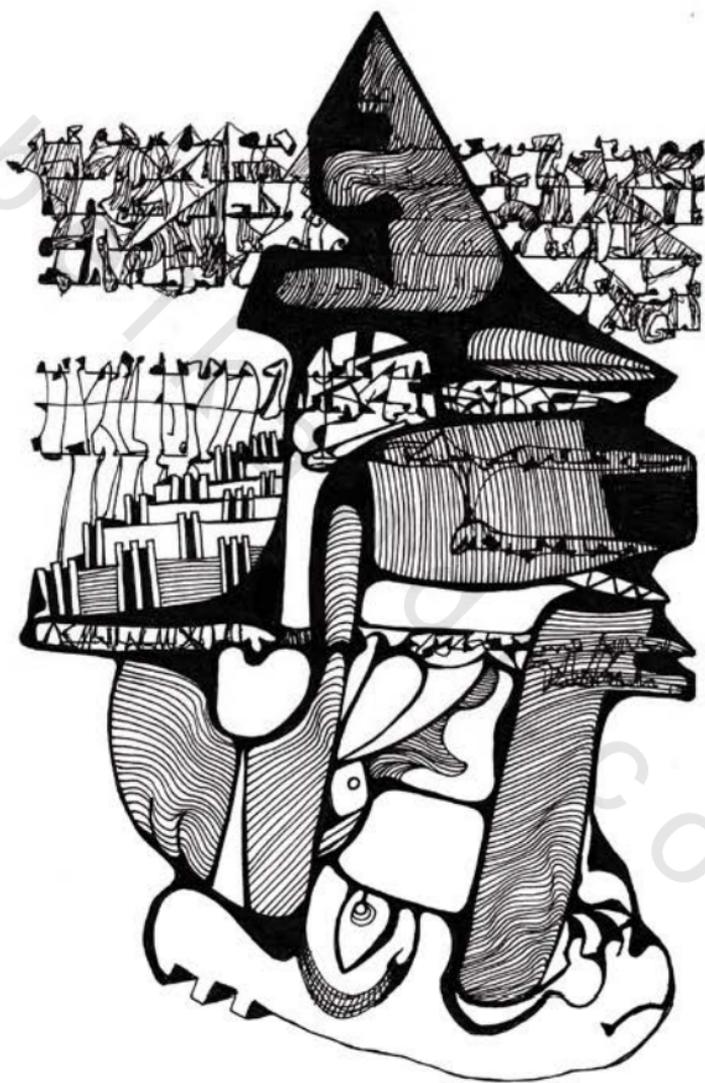
كان القمر بدرا، بسماء صيفية، وليل ليس فيه سوى حفيف الأشجار العالية، ونقيق، وصرير، وكانت الظلال البعيدة تتراكب في عيني دبا وزرافات وأفيال هائلة يحركها الخيال، لقد حذروني ألا أخرج بذلك الوقت، ولم أكرث أنا ابن المدينة، وأرى ما يقولون محض خيال، مضيت في طريقي بمحاذاة التربة، عند المنعطف الخطير الذي كان محور جلسات سمر، وحكايات مرعبة كثيرة، رأيت بعيني هاتين الأرنب الذهبية تتقاذ وتتكاثر وتتقارب، وكلها تمضي نحو الجسر، وكلما حاولت الإمساك بواحد منها، أفلت كالسراب، وأنا مائل للتراب، وسط الطريق، جاء الغفير فجأة من الطرف الآخر للجسر، فانخلع قلبي، نظر لوجهي، وصادفني، فأحس بارتجافي، باغتني بالسؤال: أطلعوا لك؟؟

حيلة

كالعادة يذهبون جماعة كبيرة مع المريض، كلهم بزيهم التقليدي، وكان الوحيد الذي درس اللغات الأجنبية، برغم مرضه الشديد الذي استوجب القدوم للمستشفى، استطاع أن يتحدث مع الطبيب بوحدة من تلك اللغات الثلاث التي يجيدها، برغم شكله التقليدي الذي لا يوحي بأي معرفة، فهم منه لماذا أحضروه لقسم ال نفسية والعصبية، نتيجة لمرضه المستفحل الذي قد يدفعه للانتحار، أدرك حيلتهم تلك، فأقنع الطبيب أن المريض ليس هو، وإنما أحد مرافقيه من أصحاب العمم الكبيرة الذي بدا كذلك، لمرح يبيده ساعتها، وحين انتهى الطبيب من الحديث معه، استقر رأيه أنه يحتاج لعناية فائقة، وغادروا المستشفى، دون أن يشعروا بشيء، بعد بضعة أيام توفي.

جنون

أفاق فوجد نفسه عاري الصدر، يطوي ملابسه على حجره، قاعدا على الرصيف، وصاحبه نائم بهدوء بجواره، مكورا ملابسه وواضعا إياها كوسادة لرأسه، وعاري الصدر أيضا، أخذ ينظر ببلاهة إلى زميله، ويحاول جاهدا أن يقف فلا يستطيع، فيبحث عن سجائره، ويفلح بعد معجزة حقيقية في إيجادها وإشعال سيجارة، وتبدأ قطرات السماء، ويشتد المطر، فيقوم مهتزا كشجرة عتيقة وسط ريح شديدة، ينحني على صديقه، محاولا إفاقته، فيسقط عليه، فيستيقظ صاحبه، راكلا له برجله فيرفضه، فيقعدان في وسط الشارع تماما، والمطر ينهمر، وهما يضحكان في هيستريا، ويلهوان بالطين، ويقذفان بعضهما به، والعربات القليلة تصيح فيهم مجانين، فيصرخان في وجوههم لعنة الله على الفودكا.



رحالة

قرر البقاء، وعدم الخروج معهم، مع أنه جاء للنزهة أصلاً، لكنها طريقته في التعرف على المكان، جميعهم يحكون له كل مساء، ماذا رأوا؟ كيف وجدوا المدينة والناس، ولا يأكل طعاماً، ولا يشرب إلا إذا أجمع عليه الرفاق، يعرفون جميعاً ذلك عنه، مهما كان قصر الرحلة أو طولها يقضي الأيام الثلاثة الأولى تقريباً في غرفته لا يغادرها، بعدها يكون لديه قائمة قصيرة جداً بالأماكن التي يود رؤيتها، وحين يزورها يجلس في أهدأ مكان فيها شارداً، يتأمل كل شيء حواليه، ثم يغادرها بلا عودة، وتظل خالدة في خياله، وبعد زمن من الرحلة، تكون أكثر حكاياته تشويقاً عن الأماكن التي لم يرها قط.

الطوق

منذ تركته وهو في الشارع، نادرا ما يأكل أو يشرب، تطارده كلاب الحي دوما، وإن لم يفعلوا يعذبه الأولاد، وهو الذي يهز ذيله ترحيبا، فيلاطفه قلة، ويفتك به الآخرون، فغالبا يقضي وقته ركضا، فصار هزيلا جدا، وشعره ملبدا متسخا دوما، فقد جاذبيته؛ رآه خبير بنوعه بزيارة للمنطقة، اقترب منه، فجفل، ظنه من الرجال أو الأولاد الذين يركلونه باستمرار، أحس بحنانه لما مسه، فاستسلم لمداعباته، إلى أن غافله وقيده بطوق حول رقبتة، فظل يعوي دون طائل، وأخذه بعيدا عن الحي، وظل يعامله بلطف ويغذيه ويغسل ويشذب شعره، حتى جاء يوم فك قيده، وأسلمه لمن اشتراه، وأفهمه أنه كلب الأجنبية، فتهلل فرحا.

عابر

راح يغسل الأكواب بالماء القليل، وعيناه لا تغيبان
عن الغريب، وفي نفسه حنق من كل هؤلاء الغرباء
الذين يمرون عليه، ويحقرونه كزائدة، ولولاه لماتوا
جوعا وعطشا، فهو الذي يجيؤهم بالطعام والماء
والشاي والدخان، وكلهم يرونه كحصاة، أو صخرة
من تلك الصخور الكثيرة المهملة علي أرض الجبل،
يدوسونها جميعهم، ولا يأبهون لها، كلهم جاءوا
هكذا، لا أصل لهم هنا، ولا فصل، كلهم عابرون،
ما اختاروا هذه الحياة أبدا، وتساءل الواحد
منهم من أين؟ بلاد الله، يوما سنرى، فبعد حين
سينكشف السر، هم أنفسهم يذيعونه في حكايات
السمر والليالي الطوال، إما قاتل ابن قاتلة، أو
سارق أو مطارد بثأر، جميعهم لصوص وهاربون.



لسعة

صاحبتة كما يسميها، على الأرض أمامه، تسمعه ولا تنطق، يصب فيها ما يعانيه، ولعلمه أنه لا أحد يعنيه أمره، فباتت حاملة أسراره، فلن تبوح بها أبدا، تحتمله في كل مواقفه، حين يكون سعيدا يأتيها، ولا يعيرها من الاهتمام كثيرا، ففي ظنه أنها على كل حال تسمعه صاغرة، ويهرع إليها حال غضبه وحزنه ويأسه، ويدرك أنها تصغي إليه أيضا، ما انتظرها لتكلمه قط، ف دائما مشغول بالحديث إليها عن نفسه، مرة كان الليل باردا لا يطاق، فاقترب منها كثيرا، محاولا أن يستدفيء بها، فلسعته نارها، فصرخ حتى أنت حين تنطقين تلسعين؟ حينها رفعها عامل المقهى من أمامه، وجاءه بنرجيلة جديدة، ماؤها نظيف.

إغراء

ترك خيمته، وراح يمشي، الأفق رمال وصخور، يفكر ماذا سيقول لرئيس البعثة، وقد خاب ظنه تماماً، فما توقعه كله كان مجرد خيال، فقد في سبيله سنتين من التنقيب، وكثيراً من المال، على الأقل عرفنا ما في هذه المنطقة، وأقفلنا ملفاتها، فلا نعود إليها، وهو يلف عائداً طوح رجله بغضب، فارتطمت بصخرة، تدحرجت قليلاً، فكشفت عن صخرة مثيرة، فالتقطها، وبدأ يتفحصها من كل جوانبها، كيف لهذا الصلصال المطبوخ أن يتواجد هنا؟ وأخذ يحفر بيديه العاريتين، صخرة وراء أخرى، حتى بدت كوة منها لمع شيء كالذهب، أرجع الصخور كما كانت، ثم عاد لرئيس البعثة متجهماً، كلما صرخ في وجهه طأطأ رأسه أكثر.

كشف

أخبروه أن كل من جاء الجبل أسماه جبل الشرائد، فكما تراه مأوى لكل شريد، لكن اسمه الذي يعرفه عن جده وجد جده جبل العرائس، ويقولون أنه كان هناك معبد، لم يعرف مكانه أحد، فيه بئر قديم من يشرب من مائه، يرجع شابا، ولو كان عمره مئة عام، وتكون له قوة ألف فارس، ولا يموت، ولا حتى ينام، وأن للمعبد كاهنات كلهن عذارى، ويقولون إن الجنيات تظهر أحيانا، وكثير من ضعاف القلوب يرونهن، فراحوا وما عادوا، وكثيرون أصابهم الجنون، بعدها بأيام بين اليقظة والنوم رأى فتاة تضع صخرة كمفتاح بكفه، صحا مبتهجا، وبعد يوم مجهد تعثر بحجر كان بعض درج مردوم.



بالون

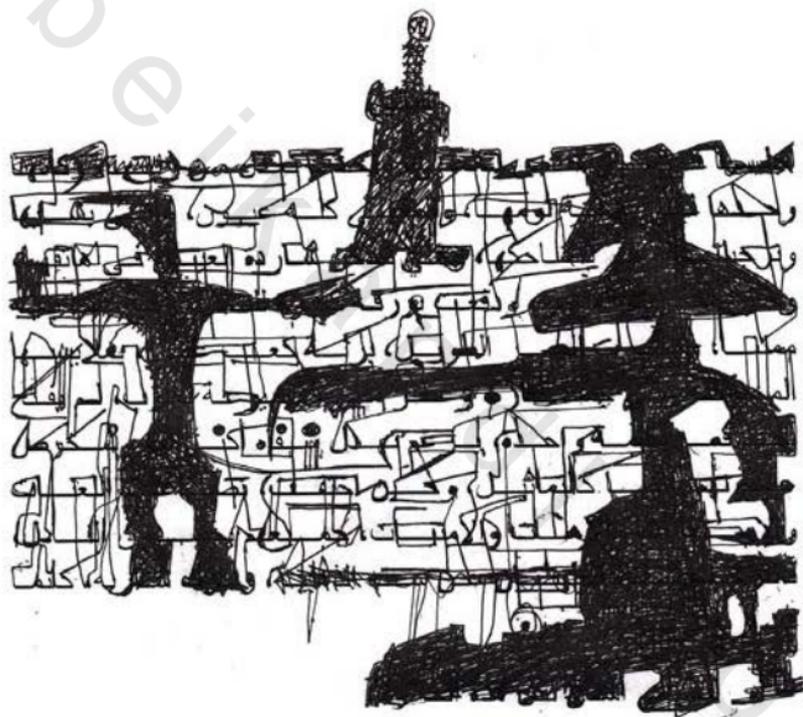
بدأت الحانة كما لو كانت غواصة، أخذتنا برحلة قصيرة لعالم غامض، فغدت الموسيقى المحلية الصاخبة غريبة، كأننا نسمعها لأول مرة، حدثتني صاحبتني عن أشياء عجيبة تخص صاحبة الحانة، كذلك الطاووس الحي يتحرك بين الطاوات، وكلبيها العملاقين والنعامة، وأحواض السمك الملون تستخدمها كطاوات للزبائن، ويبدو أنها تركت البلدة كأجانب كثيرين، ولكنني تعجبت من مالك الحانة، يتكلم العربية ولكنها أجنبية مضحكة، كما لو كان غير مصري بالمرّة، وكأنها سبة، ملامحه وحركة رأسه وجسده كلها افتعال ومبالغة، حين حدثته عن جمال الموسيقى التي يديرها كمجاملة، أظهر تواضعا فارغا، تستطيع من خلاله أن ترى رقبتة قد اخترقت سقف الحانة الفقيرة، ورأيتهما كبالون انفجر بالهواء.

جبن

كان أبوه يجمع أصحابه آخر الأسبوع في سطح المنزل المفتوح، ويفترش الجميع الأبسطة المزركشة، تحت سماء رائقة ليل صيفي ونسمات وادعة، يشربون، ويدخنون، مستمعين لأجمل الأغاني القديمة، وكان صغيراً، يستمتع بما يضعونه من طعام مع الخمر، خاصة ذلك النوع من الجبن اللذيذ لا غيره، لما شاخ الأب قل الرفاق، لكن ظل الشاب يستمتع بالجبن نفسه بشكل غير عادي، ولا يأكلها أبداً إلا آخر الأسبوع، لما مات الأب وأصبح الابن رب أسرة، ظل السطح ملاذته الأخير، ما أحب الخمر يوماً، وحاول شربها، لم تصبه أي لذة منها، فتوقف عنها، ولكنه كل نهاية أسبوع يعود لزوجته مخموراً تماماً من أثر ذلك الجبن.

شفقة

أفاق من قيلولته تحت الشجرة الكبيرة بغيظه، في الهاجرة، لا شيء يتحرك تحت شمس الصيف القاسية تلك، رأى ذئبا كبيرا يقترب من طعامه بسلة الخوص، فبحث عن الفأس بعينيه، رآها مستندة بعيدا في ظل جدار حظيرته الخالية، لكنه وجد عصا غليظة قصيرة في متناوله، فقبض عليها بقوة، راح الذئب يلحس الملع، ثم نظر إليه في براءة، والتف ببطية ورحل، أحب تلك النظرة أو ربما أشفق عليه، وبعد أن تأكد من ذهابه، قام إلى الفأس، فلمح الذئب يتعد، ونظر لسلته، فوجده أكل الملع فقط، فصار كل يوم يأتي بملح كثير، وصار الذئاب أصدقاءه، حتى رآهم أحدهم، فصارت القرية تسميه أبا الذئاب.



طير

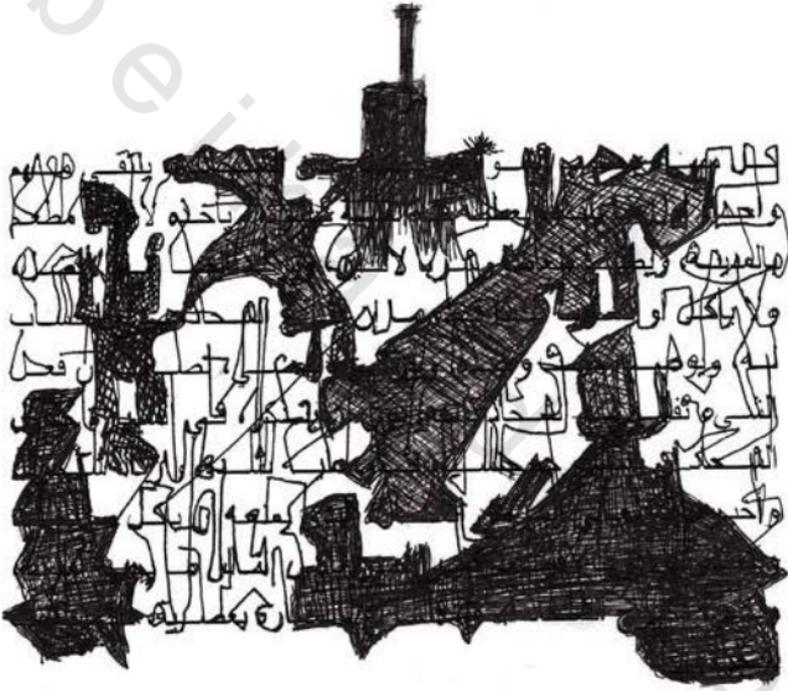
عاد إلي الخيمة، وإذا بالنار التي تمنع الذئاب صارت رمادا، والنور قد لاج، والشخير يتعالى، وصاروا يتقلبون أكثر فأكثر، وقد آوي إلي ركنه فاردا ساقيه، وعيناه معلقتان في سماء الخيمة، وإذا بخيال فتاة يملاً باب الخيمة، لحظة ثم تمضي، ركض خلفها، ليراها وقد صارت طائرا أخضر سندسيا، برأس فتاة بديعة تحلق في زرقة سماء، لم ير أصفي منها قط، وظل يركض تحت ظلها النوراني في الحصي والصخور، حتي وقع علي وجهه، ليفتح عينيه ليرى رئيس العمال بوجهه المتجهم المنحوت، وشاربه الكث الأشيب، وحاجبيه المتقطين تحت عمامة بيضاء جليلة مهابة، هاتفا فيه: رأييت كابوسا؟ وحد الله وقل يا رب.. هيا للعمل..

حكااء

يأخذك السفرُ ثرثارًا، هاربًا من القذف والتفجيرات، ومطاردات السيوف، والألغام، وإن نجوت، وعبرت الأسلاك الشائكة والمكهربة، وركض الجنود والرصاص خلفك، وزحفت في البحيرات وغابات الطين والجليد أياما بلا طعام، وبلا وجهة؛ واجتزت حرائق بلادك السابحة في الدم، وغرقت مرة أو مرتين بقوارب الموت، يمكنك بعدها أن تظلَّ وحيدا بذلك المخيم، الذي أحرقه مرةً بعض العنصريين، وغيرهم ممن لا يريدونك؛ ويرفعون الرايات ضدك؛ سيرجعك السفرُ حكاًا شريرًا، تخبرُ كلَّ شيءٍ بحروفٍ قليلةٍ، أو ربما بدونها، على رصيفٍ نظيفٍ، ستنصت إليك الريح، ربما يقتلك البرد أو الجفاء، فيغطونك بالجرائد، ويرحلون، ويطويك تابوتٌ باردٌ أنيقٌ، كأنك ما كنت غريبًا قط، تستأنس بثثرة الصحف.

الثلج

ظل يفكر في الثلج، وكيف سيكون ممتعا اللعب بكرياته، والتزلج عليه مع الشقراوات الحسان، والانغماس في بياضه الجميل، بكرسيه بالطائرة وأول سفرة له، جَلَسْتُ بجواره، فتحدثا هكذا ببساطة دون تكلف، وكان خجلا، فما اعتاد أن يتحدث مع النساء اللاتي لا يعرفهن، وحين دخلت الطائرة المجال الجوي لتلك البلاد الشمالية، استطاع رؤية الأسقف الهرمية الحمراء الباهتة للبيوت تحته برغم الغيم والسحاب، ولاحظ تغيرا على الشقراء، لما نظرت للمدينة، فسألها، فأخبرته بحزن إنه الثلج، فبدت عليه بهجة أحس أن المرأة استهجنتها، ولم يدر سببا لذلك، وفور نزوله من الطائرة كاد أن يودي بحياته، فلم يحترس فانزلق ممددا على ظهره فوق الجليد الرمادي.



إيمان

كان مقتنعًا أن الإنسان يمكنه أن يتكيف مع أكثر الأشياء قسوة ووحشية، وأن بداخله قوة لا يحدها شيء، ولا يمكن مجابتهها في بعض الحالات، وكان يردد إن الإيمان يمكنه أن يحقق المستحيل ذاته، فكان دائماً يرتدي ملابس ليست ثقيلة في شتاء الشمال الثلجي، ولا يشعل التدفأة حتى حين تهبط الحرارة دون الصفر، ولا يغير نوعية تلك الملابس، أو نمطها، ولا يتصبب عرقاً في الصيف القائل للجنوب، وكأنه يعيش في ربيع مبهج، لا يهاب شيئاً قط، دائماً تشعر فيه الجراءة في غير غلظة ولا بذاءة، ملامحه وادعة هادئة وابتسم طول الوقت، وحين اختفى فجأة، عرفنا أن الاكتئاب قتله وحيداً في المستشفى.

كمد

منذ هاجر لتلك البلاد الباردة، وهو لا يستطيع النوم، إلا حين تشرق الشمس، ويرى الناس يتراخضون لأشغالهم، ربما لأنه منذ غادر بيته وأهله، والتفجيرات والرصاص والقتل المجاني لا ترحه، فلا يغمض جفنه، مخافة أن تأتيه الكوابيس المميّنة، وما تركته أبداً، على طول مقامه في تلك البلاد البعيدة، يسير في الشوارع متلفتاً طول الوقت، حذراً أن يكون هناك من يتبعه، وحين يدخل شقته الصغيرة، يحكم إغلاق مئة قفل خلفه، ويطل من وراء ستار شرفته الزجاجية، كفعل روتيني كل صباح، ليرى حركة الشارع، ولشد ما تكون كآبته في الشتاء الجليدي، وكل شيء رمادي بغيض، ولا أحد هناك أصلاً، فينام مرغماً، ويصحو كمداً.

ملاحح

جلس في بهو الفندق قبل الموعد، ينتظر مشتتاً لا يدري لماذا، جاءت طليقتة ومعها ابنتها العشريني، بملاحح غربية تماماً، وكأنه صدم، فلم يره منذ أن كان في الرابعة من عمره، وكأنه كان يتمنى أن يحمل بعض ملامحه الشرقية، قابله الفتى ببرود وقلق واضح، وبعد ساعة أو أقل، بدأ الفتى ينظر للساعة في ضيق شديد، ومال على أمه وأخبرها شيئاً، بعد ذلك بقليل، انتحى بطليقته وسألها عن ضيق الفتى وقلقه، فأخبرته أنه ينتظر عشيقته التي ستأتي بعد قليل، وأنه لا يريد أن ترى أباه ذا الملاحح الشرقية، فتركهما من فوره، وراح يللمم أغراضه وملابسه المبتلة، وترك المدينة ولم يعد إليها قط.



تفاحة

جلسنا في قطار الضواحي بتلك المدينة الجلدية،
ومضى القطار مسرعاً بين التلال والمروج والثلج
المذاب، في إحدى المحطات جلست امرأة أمامنا،
بملابس غريبة، وشعر بنفسي، وحلى وقلائد كلها
جماجم، فرحت أتأملها، وهي تبسم ابتسامة أشد
غرابة من هيئتها، ولاحظت صاحبي المقيم في تلك البلاد،
فقلت إن شكلها غريب، فقال كل ما في هذه المدينة
غريب يا صاحبي، فتلك التي تبسم لك، يمكنها أن
تخرج من جيبتها مسدساً وتفتح النار علينا، وأنا
أتأملها وأنظر لرقبتها التي غطاها الوشم الشيطاني،
رأيت تفاحة آدم بحجم كبير، إنها رجل.. انظر..
وصاحبي يهدأ من روعي، اقتربت منا وأخرجت
المسدس، والتفت وغادرت القطار ضاحكة من رعبنا.

سم سم

ربما في التوقيت نفسه الذي تركته فيه امرأته الأولى كل شتاء هكذا تماما، فور سقوط الثلج يكون في حزن امرأة جديدة، وحين يفشل، يدخل المستشفى، حتى الربيع لا يفلح في إخراجه منها، وحين يخرج كالدب الشائخ مع أول شتاء، يصحب أول امرأة يلقاها، وفور هبوط الليل، يسجد عند قدميها مقدما إليها نفس الخاتم، في نفس الحجرة، ويناديهن جميعهن بالاسم نفسه، مجرد حرفين يتكرران، يصلح نصفه أن يكون طريقة للموت، والذي كانت امرأته الأولى تكرهه، ولا تدري ماذا يعني، صادفها ذات مساء فنادها به، فالتفتت، ضحكت ومالت عليه، لقد عرفت معنى الاسم في لغتك، فابتسم بمرارة ومضى، وظل وحيدا بقية عمره.

نشيج

أعاد ضبط مؤثر الراديو، لم يعثر على شيء، كل الإذاعات بلغة البلد التي استقر فيها مؤخرًا، تركه وأعد الشاي وبعض طعام على طريقة بلده المحلية، واستطاع أن يدفيء جسده، وأكد لنفسه لا بد أن أتخلى عن عاداتي تلك في الاستماع للراديو، غدا سأجمع بعض تسجيلات الأغاني التي أحبها، وسأظل أسمعها ليل نهار، وراح يلعب في المؤثر ثانية، جاءه صوت أغنية يعشقها بلغته، راح يغنيها بصوت عال، شاردًا في محبوبته التي أرغم على تركها، وما مضى، وتذكر ساعة السفر، وهبوط طائرته على تلك الأرض الممطرة الغريبة، بعد دقيقة انقطع البث، وجاءت نشرة أخبار المآسي في بلده، قذف بالراديو للحائط، وراح يبكي.



حدس

كلما جلسنا في مقهى في الشارع وتزدحم العربات ينتابه القلق، ويصفر وجهه، فيقوم ويتركنا لبضع دقائق، ثم يعود، في بادئ الأمر لم أدرك سببا لما يفعله، ولما تكرر ذلك سألته، فأخبرني قائلا أنت تعلم أنني جئت من بلد مزقته الصراعات، وعشت في تلك المدينة التي أكلتها التفجيرات والتصفيات، فكلما جلسنا في الشارع، ورأيت العربات تتوقف وتتزاحم خلف بعضها لأي سبب، أتيقن أن هناك تفجيرا محتملا، سيارة مفخخة أو إطلاق نار قريب، ودما سيسال، فينتابني الذعر، ربما يتغير ذلك بإقامتي هنا مدة أطول.. سافرت زمنا، ولما عدت سألت عنه، فعرفت أنه الوحيد الذي قتل بتفجير إرهابي كبير في مدينة صغيرة وادعة.

الأواز

كنت أنتظر طائرتي أمام بوابة الإقلاع، في أول مدينة أوروبية زرتها، قبل عيد الميلاد بأيام، بقربي جلس رجل وزوجته وطفلهما، ثم تركهما الرجل لبرهة، جاءت فتاتان، واحدة بزى بابا نويل، وأخرى بقرون حمراء مضاءة على رأسها، بدأتا بملاطفة الطفل، الأم تتحدث معهما، وتمسك بيدي الطفل، حذرة أن يمد يديه للحلوى أو الشيكولاته، التي يقدمانها، ووجه الطفل كله رغبة وضيق، فأخرجت فتاة كتابا للتلوين، وألوانا كثيرة، فأمسكت الأم بالدفتر، تاركة لطفلها الألوان، ما إن انصرفت الفتاتان، حتى ذهبت لسلة المهملات القريبة ورمت الدفتر، وعادت وأخرجت من حقيبتها دفترا جميلا أعطته لطفلها، وعاد الرجل معتمرا تلك القبعة الصغيرة السوداء، في زى حاخام.

نموذج

وقفنا في زحام الترام أمامه مباشرة، رائحته نفاذة، كأنه زجاجة خمر فتحت من فورها، ملبسه متسخة، وتكاد تذوب من تلقاء نفسها، فحاولنا الابتعاد عنه، ولكن ما من مساحة، وفاجأني الزحام كأنني لم أعتده يوما، فمنذ جئت لتلك المدينة لم أصادف الكثير من البشر أصلا، فرحت أتأمل ذلك الرجل الأشيب الذي أمامنا، وتطابق في رأسي شبهه بأناس غربيين رأيتهم إما سياحا أو يعملون في بلادنا، فقلت لصاحبي أتعرف لو أن ذلك الأبله السكر، هندم شعره ولحيته، وغير ثيابه، سيكون له شأن في بلادنا، وربما أدركه الثراء، قال صاحبي هناك كثيرون أمثاله، جاءوا بلادنا هكذا، ثم صاروا أصحاب عمارات ومزارع ومصانع وحوانيت.



اتجاه

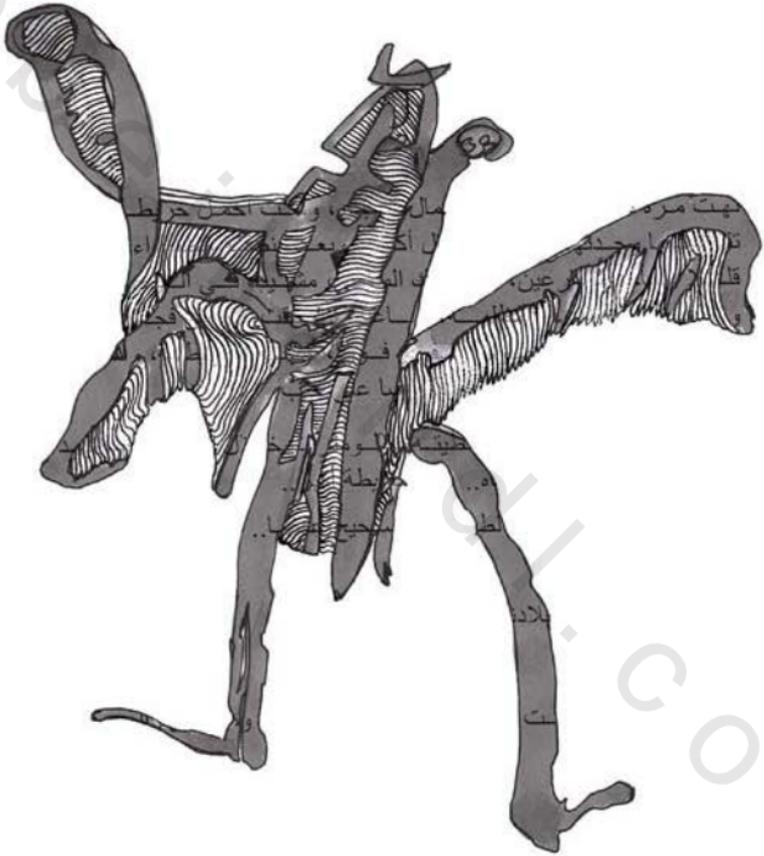
تهت مرة في إحدى المدن الثلجية ليلا، مع أني كنت أحمل خريطة، كلما تفحصتها وجدتها تدلني شمالا أكثر، وبعد منطقة خضراء مظلمة قليلا سأجد شارعين، ثم ذلك المبنى الكبير، مشيت في الثلج كثيرا، ووصلت للمنطقة المظلمة، ساعتها انشقت الأرض فجأة عن شرطي، فتحسست جواز سفري فورا، أريته الخريطة، وأشرت للمبنى الذي أقصده، أمسكها وقلبها رأسا على عقب.. سيدي.. ما تقصده تخطيته بكيلومترات خلال تلك الأبنية قيد الإنشاء.. عكس الاتجاه.. معي خريطة أكبر.. وبضوء كشافه أراني الطريق الصحيح عليها.. ورفع يده بالتحية العسكرية، مرحبا بك في بلادنا.. شكرا لك.. بكيك وقتها، ولعنت خوفا من رجال الشرطة وملابسهم العسكرية في عاملنا الثالث.

الشمال

هبطنا أنا وصديقي من القطار بمدينة في الشمال، كانت أول مرة أرى الثلج فيها، كنت أحسب الجليد يجلب البهجة، ولكن صدمني الصقيع الذي يجمد الشوارع والناس، المحطة مزدحمة بكل أنواع البشر، هناك شاب أسود يرتجف تحت سقف المحطة، أمامه كوب بلاستيكي يتلقى فيه العملات، حين هممت بوضع عملة في الكوب، فجأة ساد الهرج والكل يجري، إذا به يمسك بالكوب، ويفرغه بجيبه ويركض، فركضت معه بالتبعية، لما ملحت الشرطة تركض خلف جمع غفير من السود، وصديقي يركض خلفنا، وبعد مسافة استوقفني.. لِمَ تركض؟؟ أوليست أوراقك سليمة؟؟ أمعك جواز السفر؟؟ حقا.. لِمَ أركض؟! يا صاحبي لست أسود مثلهم.. وليس لديهم أوراق مثلك.

الحلم

لم أجد يوماً أرضاً أزرع فيها حلمي في بلاد الناس،
لم أكن لاجئاً قط، ولكنني مهاجر كما يصفونني، لم
أفلح في الحب أيضاً، فلا وقت لدي، وإمكانية الهدوء
معدومة، وحيد دائماً، كل ما استطعته هو الانتقال،
والحفاظ على تلك الإمكانية المتاحة، مطارداً أنا، ليس
من أي شرطة في العالم، ولكن من نفسي التي لم تجد
يوماً فرحها، هارب من حرائق أرضي وحروبها، لحرائق
روحي التي لا تنتهي، ولم أستطع إطفاءها أبداً، وكل
مساء على أي سرير بأي مدينة، حين أضع رأسي على
ما توفر من وسائل، تحضر بلادي، فأبكي على الذي
غربني، وأنام، لأجد حلمي الوحيد أن أموت في أرضي.



حوار

- متى ستدفيء سريرك؟ العمر يمضي يا بني، لم تعد

صغيراً..

- لكن لي أحلاماً كبيرة يا صاحبي، لا أرى فيها واحدة

بعينها، إنهن يأتينني في منامي جميعهن، من أرغب

منهن، ومن لا أرغب، يجئن في أروع صورة، طيبات، ولا

يضحكن بخبث، ولا بصوت شرير..

- لكنهن حلم..

- هنَّ لسنَّ وهماً أيضاً..

- أفق يا بني، كل صباح يذهبن ويتركنك وحيداً..

- إنهن يذهبن ليغسلن أجسادهن الشمعية مما

يشوبها من الحديد معي..

- فيمَ يتحدثن إليك؟؟

- هنَّ لا يتحدثن، إنما يستمعن إليّ..

- رأيت ما تتوهمه فيهن، إنهن من صنع خيالك..

- يا صاحبي.. أين أنت؟ أين.. أنا؟

وقت

وقفا قبالة البناية الجميلة، لما نظرت لجمال المبني
عبر يديه، وحين رأى حنان الدنيا يتجسد في عينيها،
رفع ذراعه نحوها، وخطا خطوة واحدة باتجاهها،
رفعت يدها لذراعه، وخطت خطوة، فتحا البوابة
معا، وراحا يجوبان الممرات والردهات والحجرات،
وعاشا في كل غرفة وقتا، ما بين غرف الصمت
والضحك والبكاء عاشا، وبعد زمن احتاج الرجل
لغرفة يبقى فيها وحده، ساعدته وأبقتة وحده،
ثم عاد، احتاجت تلك المرأة أن تبقى وحدها وقتا،
ساعدتها، وعادت، مرت بإحدى الغرف امرأة أخرى،
أقل بدانة وأكثر مرحا وحلاوة، لعب الرجل معها
وقتا، وألقاها، وعاد لامراته، حتى وصلا لسطح
المبنى، تعانقا، قبلته، وقبلها، ثم طارا معا في الهواء.

الوردة

ممسك بوردة في يده وسط الزحام، عينه على البنات،
يروح معهن، ويرجع معهن، على الرصيف نفسه، لا
يفتح فمه بكلمة، ولا ينظر إليهن، ملابسه فقيرة لكنها
نظيفة، مشعث الشعر، لحيته تثبت خفيفة على
ذقنه، وكأنه اعتاد أن يحلقها، ولسبب ما لم يفعل،
مبتسم طول الوقت، وكأن ابتسامته البريئة مرسومة
على وجهه المكفهر، يقترب كثيرا من البنات، ولا يمسهن
أبدا، كثيرا ما تفزع بعض البنات نظرتة الحادة الرامية
إلى البعيد، وكم من بنت صعقت حين تتصادف عيناها
بعينيه، حين يمشي بجوار البنت تخال أنه سيمناها
وردته الوحيدة، ولا يفعل أبدا، لكنه مع غروب
الشمس يعطي وردته لأي عجوز، ويزوب في الزحام.



طيف

يا لهناءتهم في نومهم، انظر لهذا الوجه اللحيم في
ابتسامته، وآخر كأنها يناغي امرأته، ويرواها عن
نفسها، فيقبلها بصوت جهوري، كأنه يرسل قبلته
لها بالأثير حيث كانت، وذاك الممدد على ظهره
وجلبابه يعلو بوسطه، وبين الحين والحين يتقلب
على بطنه، ويرتفع الشخير والعواء والنعيق وهسيس
النار، ومع لفحة هواء قوية، لا تأتي أبدا في قيظ
ليلة صيفية كهذه، إذا بخيال نوراني، لفتاة برداء
أبيض، في نظرة مشفقة، من عينين لامعتين في وجه
مضيء مستدير مصقول، وشعر ذهبي مضمفور،
وشفاه وردية مكتنزة لامعة، كعروس ليلة زفافها
أرعبته طلثها، فقام يركض خلفها فوق الأجساد،
ليراها تتلاشي مع زرقعة أول ضوء لنهار وليد.

الشيخ

في غمرة فرحتها تنطلق غير عابئة بشيء مما يقولون،
تركب الدراجة النارية، وتضحك بصوت يهز المقهى
كشيخ قبيلة، وتدخن النرجيلة، أكبر مدخن لن
يستطيع مجاراتها، وأحيانا يسقط الرجال حولها بأثر
الماريجوانا، بينما هي تواصل السهر، وصباحا يدها
بأيديهم، وفي النهاية يجدون أنفسهم خلفها، تعدل
بنطالها أمام الجميع ولا تستحي، وحين اشترت شالا،
أجمع الكل أنه ليس لها، وإنما للرجال، فأكدت أنه
يعجبها، فصاروا ينادونها باسم الشيخ، فغدت تسلم
على الناس بقبضة كف تليق بشيخ شديد، وحين
تذهب لخيمتها بالأخير، تأخذ معها الخمر، يأتي صدى
كلمات الرجل الوحيد الذي أحبته بقوة برأسها، لكنك
نسيت أنك امرأة، فترمي بالزجاجة لأقصى مدى، وتنام.

السُّلَم

ركض طفل تائه في ردهة المستشفى، وكان يجلس عند حافة السلم يدخل سيجارة بعد نجاته من حادثة كبيرة، بحياة محطمة، جلست هي أيضا بالسيجارة، كلها أربطة وجروح، وحياة مفزعة، التقطتا معا يد الطفل، وفي إثره أنت أمه، قبل أن يتركهما، أفلت من يد أمه، وراح إليهما يعقد يديهما، نظرا كل إلى الآخر بابتسامة أقرب لخلاص من يأس قاتل، ما من كلمة يمكنها أن تختصر ما قالاه من غير حديث، مضت إلى غرفتها، وصارت لا تستطيع الحركة، وغدت تدخل على السلم مرة كل أسبوع، فأصبح يأتيها عند سريرها كل مساء يلقي نظرة، ولما أفاقت من غيبوبتها، ذهبت لغرفته، أخبروها أنه توفي.



جرس

وصل الفندق آخر الليل متعبا، فنام قورا، ثم صحا فتناول إفطاره متعجلا، وخرج وعاد آخر النهار، لم يلحظ شيئا غير عادي بتلك المدينة السوداء، وبعد الغداء استعد للخروج، بضع خطوات بجوار الفندق، وقف شيخ يحمل جرسا صغيرا، تفحص الوقت، ثم بدأ يقرع الجرس، وينادي موعد الحب، فوقف يرى ما الذي يحدث، وجد بعضا من الفتيات الأوروبيات البيض، وكثيرا من الرجال السود حولهن ينتظرون معا، بمجرد انطلاق جرس الحب يتحدثون، ويقفون مع بعضهم طويلا، وينتهي الأمر بأن يصحب الفتى الأسود فتاة بيضاء صغيرة، في اليوم التالي حدث الشيء نفسه بالتوقيت ذاته، في يومه الأخير بالمدينة، وجد نفسه ينتظر الجرس ضمن الآخرين.

قديس

وجدها مكسورة إثر علاقة حب برجل كان يكتب كثيرا، وينشغل عنها طويلا، ولا يريد لها أن تقرأ أبدا ما يكتب، لما انتحر، أخذت تجمع كل ما كتب، وتعلقه بكل مكان من شقتها، وأفزعها كيف أنه قبل عام واحد من وفاته تنبأ بشكل دقيق جدا بطريقة موته، وبرغم ذلك أغرقته بحبها، وحفظت الجميل أنه يحتملها، ولا يتذمر أبدا، ويتقبل كل شيء بهدوء، وتفهم حقيقي، يليق بعاشق كبير، وهو على يقين من حبها له، برغم أنها دائما تحدثه عن حبيبها المنتحر، ويحزنه أكثر أنها حين تكثر من الشراب، تردد كلمات ذلك المنتحر، وتناديه باسمه، وحين تفيق تسأله كل مرة.. هل فعلت؟؟ فيبتسم.

خيال

عرفت امرأة بألف احتمال، في الصباح الباكر أنثى
رشيقة بغير زينة، جمالها أخاذ، لكنها حين تتكلم
تخرج كل أبخرة الخمر وأدخنة سجائرهما، كمدخنة
مصنع كبير، مع أن كلماتها في غاية الرقة، وفي
الضحى لها ألف يد تلعب بكل شيء، وتغوص في كل
القلوب، وعند الظهيرة تنام كجمل عجوز نحل وبره
الزمن، وعصرا تدور عيونها كالشعالب، وحين يأتي
الغداء تأكل كالأفيال، وفي أول المساء حاملة كطفلة
لم تزل في مهدها، وحين يهبط الليل تصير ذئبة،
يمكنها أن تضاجع الليل نفسه ولا تملم، وحين تنام
تبدو كقطار معطل يملأ الدنيا ضجيجا ودخانا، إنها
مجرد امرأة يكبر خيالها برأسي كل ليلة في حلمي.



استراحة

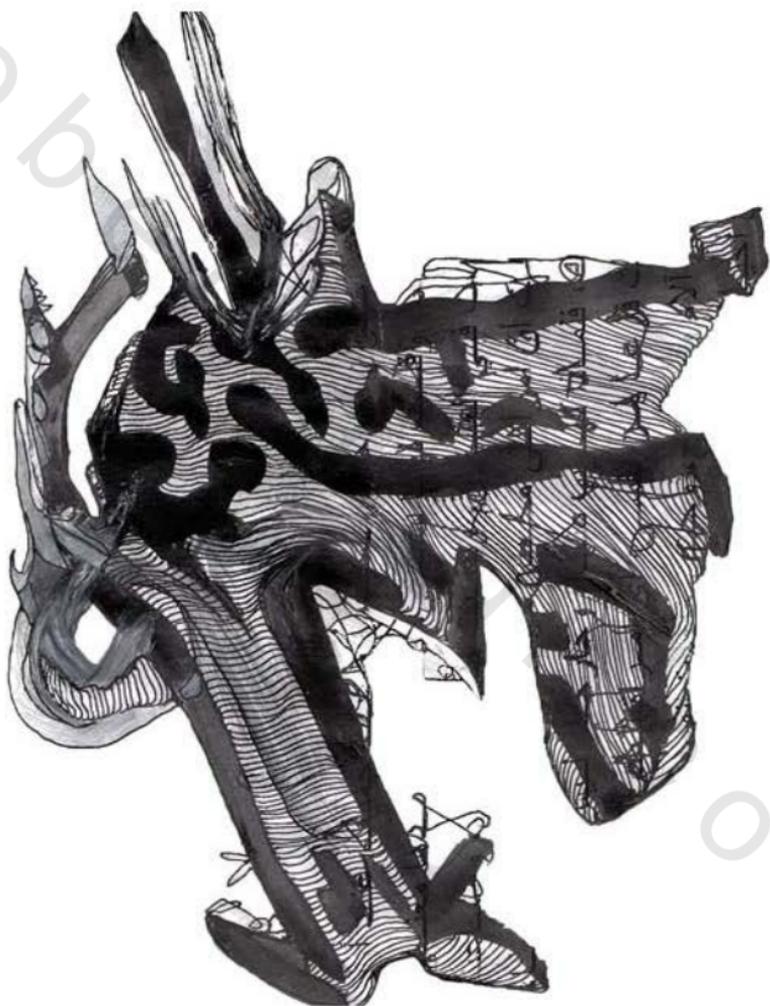
لا أفهمها حقاً، هي تتدعي حبك، وتتواصل معك بحميمية لا تظهرها أمام الناس، ومتزوجة بغيرك، وبالوقت نفسه، تنشر صورها مع آخر غيرك وغير زوجها على وسائل التواصل الاجتماعي، وكل منكم يعيش بمدينة مختلفة، ولا أدري لماذا ليست المسألة واضحة لك، زوجها من الواضح أنه مغفل، والآخر رئيس العمال لديها، وقد رأيتته معها في مدينتك غير مرة، وعندها أدركت أن شيئاً أكبر من العمل بينهما، أما أنت.. فمن تكون؟؟ ربما محطة للاستراحة بين زواج بارد حتى الملل، لكنه مستقر، وعلاقة عمرها شهران كل سنة، فحتى إن تركت زوجها وتزوجتك، أتأمن لمن خانته زوجها لأجلك ألا تخون ثانية؟ وماذا عن رئيس العمال؟

همجي

حين رآها ثانية بعد سنين، عرف أنها هي، كانت تأتيه كل ليلة يرقصان معا ويضحكان، تلك المرة في المقهى جاءت أكثر بدانة وبشعر لونه تغير، فقال لنفسه اصبر عليها ليست هي، بعد سنتين طوال أخبرها أنه جاء متأخرا، وبعد خمسة عشر سنة في حلم كل ليلة ظلت تأتيه بشعرها مختلف الألوان، تأكد تماما أنها هي، لكنها لم تكن متأكدة أنه هو، ولما احتضنته، سألته من أنت، قال أنا الذي كنته يا حبيبتي، قلت لك كثيرا ولم تسمعي، حتى كففت عن القول، وقلت الحب سيتكلم يوما، ولما تكلم الحب أنكرتني، وتزوجت وعاشت سنينا تروح بالحلم وتجيء، وهو مستقر مكانه في المقهى.

لحظة

الأطفال يلعبون بعيدا في الحديقة، في ضفة المنزل الأخرى جلست وحدها تنظر للسماء، فجأة جلس بجوارها الرجل المسن محبوب الأطفال، ابتسم بود لها، وضع يده على كتفها بحنان، ويكلمها بما لم تفهم عن الحب، ويكرر جملة بلاستيكية، كأنه يحفظها عن ظهر قلب إنني أحبك، وبدأت يده تهبط تحت ملابسها، وهي مشدوهة لا تعرف ما الذي يعنيه، وعيناها للسماء، قبضت يده على نهدها البريء، وأخذ يقبلها بحرارة عاشق، لم تنتفض وكأنه قتلها، لحظات وفارقها جثة، ظلت لثلاثين سنة تسلمها لكل رجل يمر بها، طامعة أن تعيد الحب الحقيقي للحياة، بأنفاس أجسادهم، لكنها تدرك تماما أنها ترقص معهم على جثة الحب مثلهم.



إخلاص

يا لغرابتها من امرأة، يمكنها أن تسقط عنه حزن سنة كاملة بمجرد نظرة، وتبدو أكثر ثقة من هذا كل عام، وتتركه فارغاً تماماً إلا من التفكير فيها، مع أنها تفعل الشيء نفسه بمدنها التي تعيش وتتنقل بينها طول السنة، تلك المرأة تجيد تقسيم الوقت بين عشاقها الثلاثة، في مدنها الثلاث، لكل منهم وقته ومدينته، التي تدرك تماماً استحالة أن ينتقل أيهم لمدينة أخرى من مدنها، في منتهى الإخلاص لكل منهم على حدة، وتعطيه كل وقتها، كأنه الوحيد في حياتها، وتشعره بذلك دائماً، وحين يسألها متى سنبقى معا طول العام، تنشغل فجأة عن المسألة، وتمنيه بالتفكير في الأمر في عامها القادم.

ماوى

مر على بابها محروما، متعبا لا يقدر على شيء، فتحت بابها آوته، نسي ما جاء إليه، وأحبها، بكل تناقضاتها ووهمه، تعلم منها الكثير، وتعلمت منه أكثر، نفض عنه الغبار، وأخرج نفسه من صندوق تذكاراتها الملآن، أصبح عاجزا عن الحركة، نظر حوله، لم يجد أحدا، سوى التذكارات الميته، حاول أن ينفخ فيها الروح، ما وجد في نفسه روحا، ظل يدور في بيت الذكرى، أضاء كل الشموع المتاحة والأنوار، أشعل الموسيقى، فتح كل النوافذ والأبواب، وما جاء الهواء، ظل هامدا على كرسيه، كخرقة بالية، نام وصحا وجد نفسه لم يفارق خزانة التذكارات، هناك خلف الزجاج يحلم، وهي رائحة غادية حوله بالتذكارات الجديدة.

تلاعب

فعلت ما في وسعك، لكنك جئت متأخرا كما قلت، فقد تزوجت بالفعل، كان قرارها، قبل ذلك لم تكن تعيرك أي انتباه خاص، مجرد رجل ضمن مجموعة تقابلهم أحيانا، ما من شيء مميز لديك لتفكر فيك، كنت بالأيام الأولى لمعرفتك بها تشيد الأوهام، ولم يكن لديك شيئا يقنعها بحبك، عدا الأحلام، هي الآن متزوجة، وتقول لك أحبك، وأنت بالمثابرة حققت كثيرا مما تصبو إليه، فمتى ستفجر القنبلة الأخيرة؟ وتخبرها بين أن تترك زوجها وتبقى معك، أو تقطع صلتك بها تماما؟ برغم تأكيدك من أنها لن تسمح لك بالخيارين، وستبقيك معلقا كما أنت تتلاعب بك الرياح، ربما ستشيخ أو ستموت ولن يحدث.



حسابات

منذ عرفها، لم ير امرأة غيرها، حاول أن يبدأ حياته مع غيرها، بدل في حبها نساء كثيرات، كن نسخا مصغرة منها، ومهما ذهب يرجع إليها، هي ذاتها قدمت إليه بعض نساء، لظنها أن ما يعاينه مجرد وحدة، ويفاجئها دوما بإخلاصه لوجه لها، مع معرفته اليقينية أنها اتخذت مسارا لحياتها لن تحيد عنه، ولأنها لم تدرك أنه يحبها في بداية معرفتهما، تزوجت بغيره، وظلت تلقاه، ويلقاها بإخلاصه، حتى اقترب منها جدا، فلم تعد تستطيع إنكار حبه، فخاضت المغامرة، لكنها وهي التي دربت على المغامرات غير المحسوبة، إلا معه، ظلت تعيد حسابتها كلما لقيته سنة بعد سنة، حتى شابا ولم يتغير شيء.

مسافة

تركت نفسها لكل عابر في حياتها، كورقة في الريح،
باحثة عن الحب الذي قتلته يوما ما، ربما الحب
هو من مات في روحها، فغدت تعذب كل من
اقترب منها، تصطفيه كثيرا، وتعطيه من جسدها
ما تحب أن تمنحه، وفي النهاية التي تتركها دائما
مفتحة، مشرعة على كل احتمالات الموت والحياة،
لا تتركه يصل إلى اليأس منها، دوما تغريه بالأمل،
بارعة جدا في تسخيره لتلبية ما يحتاجه جسدها
الذي لا يشبع من الغرائز، ومن النشوة المطلقة التي
تغرق في جذوتها كل عاشقيها، فلا هم شعبون، أو
يصلون لشيء، تمزقهم، وتبقيهم دائما على مسافة
منها، كافية لاشتعالهم، ودايما في بحث عن جديد.

وهم

عرف بعد ذهاب العمر أنها محض جسد، روحه ضائعة، حاول أن يجعلها تتنفس، لا تريد، ولا تفكر بذلك على الإطلاق، مجرد جثة للحب، تنتقي عاشقيها، جميعهم في فلكها يسبحون، كحياتها الصاخبة تماما بالمدن الثلاث، كثيرة المرايا، ترى فيها فقط جمال وجاذبية جسدها الذي يذبل، ولا تدرك غير ماء العشق الجديدة دائما، ترياقا يخفي التجاعيد، ويلون شعرها الأشيب، عرف كيف طوت أحلامه جانبا، هو يحدثها عن الروح، والحب، وهي لا تعرف غير النشوة والنزوات، يا له من عاشق ساذج، ما الذي قد يمنحه هذا الجسد الشائخ، المنتفخ باللذة التي لا يعرفها أصلا، ولم يجربها قط، ربما سيعرفها يوما، واهم ككل عاشقيها.



مازوخية

التقيا هاربين، هي اغتالت براءتها يد شيخ اقتنصها من بين الأطفال، وهو حطام، قتلته الخيانة، للحظة رأى فيها روحه المعذبة، وجسدا منحتة لكل يد، بعدما صارت مجرد جثة للحب، وهو كالآخرين يحلم بها، ويدرك أن هناك روحا أظهر تسكنها، وتحقق الحلم، وأشعلت روحه، ونثرت رمادها في جثته، فصار كالآخرين بلا ملامح، مرت سنوات، تروح وتجيء، عليها تعيد إليه روحه، بلحظات مسروقة كل سنة، تعيد قتله كأول مرة، وهو لا يتوقف، مستمتع بذبحها، ويستعذبه، فصار كالمجنون بها، يعيش على تلك اللحظات، طول العام، وهي لم تزل طاحونة لعاشقيها، كل ترك في جسدها بعض آثاره، وحده ظل يحارب طواحين الهواء، قانعا بالذكرى.

استحواذ

خيال حبيته القديمة قاهر جدا، يراه بكل امرأة عرفها، وكل امرأة يصادفها يرى منها شيئا، من جسدها أو روحها أو حتى طريقته في الكلام، منسحق تماما أمام ذلك الخيال، ولم تستطع أي امرأة أخرى أن تشبع روحه، مع أنه هو من فارقها، وبعدها كانت النساء هن من يتقربن منه، ويسعون إلى معرفته، وبعد فراقها صار يركض كل المسافات المتاحة بينه وبين أي امرأة، يلمح فيها ظلا من ذلك الخيال الذي تركه يوما، ويحدثها كأنه يعرفها، وتستغرب المرأة جدا، كيف يعرف عنها ذلك، إنه لم يقابلها قط، وحين يقترب أكثر يختلط عليه الأمر تماما، فيدرك أنه ما زال يعيش ذلك الخيال.

فشل

مع أنه انتهى من قصة الحب تلك، ظل يذهب للمكان نفسه كل مساء، في الوقت الذي اعتادا أن يلتقيا عنده، محافظا على تلك الملابس التي تراه أجمل فيها، لكنه حين ينظر لنفسه في المرآة قبل أن يغادر، أملا أن يلقاها ولو لمرة أخيرة، يجد غيمة حزن تغشى كيانه، فيكاد يحجم عن تلك الرغبة للقيها، في النهاية يخرج، ويظل وحيدا، في المكان نفسه، ساعات تقتل فيه الأمل ببطيء، فيعود مرغما لوحده، ويقسم لنفسه ألا يعود لهذا المكان أبدا، ليجد نفسه في اليوم التالي، يفعل الشيء ذاته، بعد سنة، رآها فقام واقفا، رمقته، فجلست بعيدا وأشعلت سيجارة، لم يستطع أن يتذكرها تدخن.



انكسار

جلست تلك المرأة العجوز، وجهها كان غاية في الجمال يوماً، معها شاب في ربيع عمرها، من حركة جسديهما وملامح وجهيهما ونظراتيهما تستشف أن هناك حبا ما بينهما، كنت أعرف المرأة، ولم أحدثها أبداً عن ذلك الشاب الذي أراه دائماً بصحبتها، وعرفت لما سألت عن تلك المرأة أنها متزوجة من ذلك الشاب الصغير، وتقيم في تلك البلد السياحي منذ فترة غير قصيرة، وأنها بنت بيتا يقيمون فيه معا، وبحكم المجتمع الضيق للأجانب في تلك البلدة، قابلتها لأول مرة دون الفتى، فسألته عن تلك العلاقة، فأجابت بهدوء، وبعيون منكسرة، وكأنها تتوقع السؤال، لو عشت حياتك وحيدا، ستعرف ماذا يعنيه هذا الولد لي.

أم

وقفت بسيارتها غير بعيد، وأشارت بيدها إلى عجوز شمطاء، تمسك بزجاجة خمر في يد، وبسيجارة بين أصابعها، وترتدي ملابس قصيرة جدا، تكاد تكشف عن سوءتها في ذلك الشتاء الجليدي، فسألها باستغراب:

- لم جئت بي إلى هنا؟؟

- أنت لم تدرك بعد.. تلك المرأة التي تراها أمامك..

هي من رمتني في الملاجأ، حين قتل أبي في الحرب، وكنت ابنة ست سنوات.. إنها نفسها التي لم تجد عملا بعد الحرب سوى بيع جسدها.. لقد تعبت كثيرا حتى عرفت مكانها.. ويا ليتني لم أجدها، كانت طيفا جميلا بحياتي.. أعرفت لماذا يقتلني الحزن كلما رأيت أطفالا، أعرفت لماذا لا أريد أن أكون أما لأحد أبدا.

الولد

في عطلة مع أسرته حول المسبح الكبير، تلعب امرأته مع أصحابها في الماء، وهو يسترخي على أريكة مستمتعا تماما بالظل الجميل، فجأة تقدم إليه زوجان شابان، وسألاه أنت والد هذين الطفلين؟ وأشارا إلى طفليه، وحاولا أن يتأكدا تماما، أهؤلاء ولدك؟ قال نعم.. فقالا له احترس، فهذا الولد الكبير حاول أن يغرق أخاه الصغير في المسبح منذ قليل، وتركاه مشدوها، لا يعرف كيف يفكر، وماذا يصنع، الولد الكبير لست أبوه، لكنني من رباه، أما ابني، فقام للولد الكبير، وعنفه وهدده إنه سيدخل السجن إن مس ابنه الصغير، فأخبره إن هي إلا بضع سنوات بالسجن، وسأخرج بعدها، وسأعيش حياتي خالصة من المنغصات.



وعد

تذهب للبحر كل غروب، وتوصي جارتها بالبيت، تظل
تحقق في البحر، حتى يهبط الليل، ثم ترجع، تحكي
لجارتها ما رآته من البحر، وما قاله البحر لها اليوم،
وأنه وعدها أنه سيعيده إليها ربما غدا، أو بعد
أسبوع، على الأكثر شهر، تدير جارتها وجهها عنها،
كي لا ترى دموعها، وتربت على كتفها بحنان وتمضي..
- ألا تصدقيني؟؟ سترين.. قلبي ينبؤني أنه سيعود
هذا الشهر..

تتركها صامتة، وتوصد الباب خلفها بهدوء، وتتركها
تحدث نفسها، تفعل هذا كل مساء لسنوات.
خرجت الجارة في ليلة شتوية باردة، وإذا بطرقات
على الباب..

- تَعَالَى.. قلت لك سيعود.. أنسيتِ شيئاً؟؟
ورد صوته البعيد: إنه أنا.. أنا..

عودة

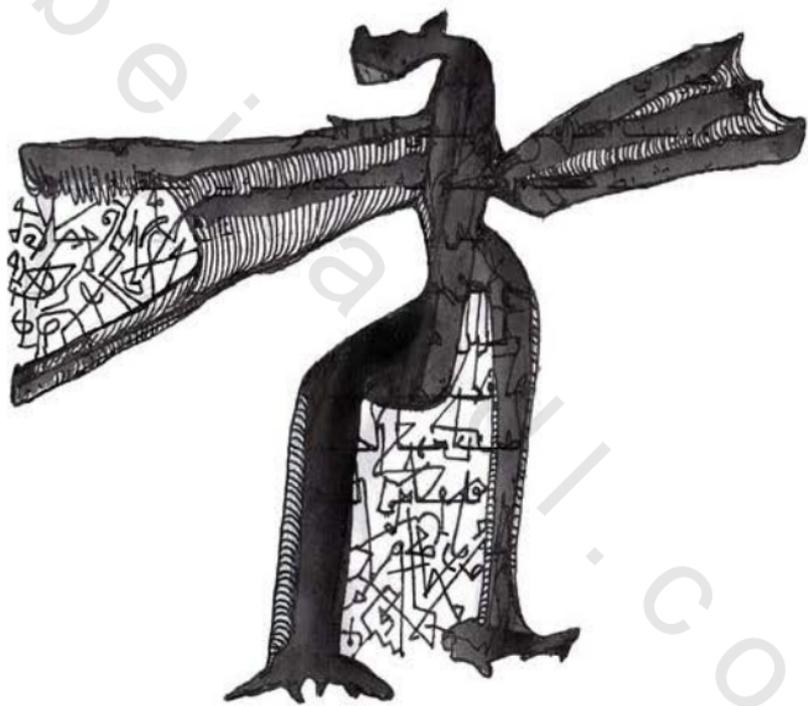
وقف ببابها، وضع حقائبه وطرق طويلا، تفقد النوافذ والحديقة الصغيرة، لا شيء تغير، أتراها سافرت، إنها لا تخرج عادة، والوقت متأخر قليلا، ما الذي حدث، على إثر الطرق قدمت جارتها العجوز..
- أهذا أنت؟؟

- ماذا تعنين سيدتي.. أتعرفينني؟؟ أأعرفك؟؟
نظرت إليه مليا، ثم وضعت في يده دفترا صغيرا ومفتاحا، ومضت، فتح الدفتر..
أول سطر فيه.. في انتظارك كنت..

طالع حياة تحبسها الكلمات بين دفتي كراس صغير، كلها أمل وحنين، فانكفأ منكسرا، وبدمعة حسرة فتح الباب، وجد كل شيء كما تركه، مغلفا بالأغطية البيضاء، وتعجب من عد صوره التي تبعثرت في كل مكان، وكأنها تريد أن تراه بأي ركن كانت.

نزوة

بدأ يتصرفان بغرابة، ويتناحيان كثيرا دوني، وأصبحا يكلمان بعضهما أكثر من أي شخص آخر، ولم أدر لِمَ أخبرني أنه أقرضها مالا، لأنها تركت بطاقة ائتمانها بالقاهرة، مستدرا عطفي حيالهما، وتبريرا لتقربه منها، مع أنني أعيش في الشقة معهما، أشعر كالغريب، هي تحثني أن أشارك بالمال أكثر، وقد كنت أكثرهم دفعا بالأيام الأولى لوصولنا لتلك المدينة المكلفة، صار صاحبي يراقبني، وإن نام قبلي يضيء الغرفة ويفتح بابها، ليوهمني أنه مستيقظ، وحين يغلبه النعاس يتأكد من نوم صاحبتنا أولا، وحين حطت عليه زوجته وضبطته بالملقهى بمشهد رومانسي، إثر استعداد من مجهول، نظرت للسيدة المتصابية فسقط لحم وجهها، وشدته كالطفل المذنب، وبدأت بالصراخ.



لقطة

مر بنا، وقال إننا بدأنا نشبه كلبنا أو قِطَّنَا،
فانتبهت أنا وزوجتي، فنظرنا كل للآخر:
- أتعرفينه؟

- أتعرفه؟؟ من يكون؟

- كيف عرف أن لدينا قط؟!!

وكشرفي سألت أمن الممكن أن يكون ذلك بدافع
عنصري تجاهي كمهاجر في تلك البلدة؟؟ فطمأنتني
زوجتي أن الموضوع عادي، لكن كيف عرف هذا؟
فبحثنا كثيرا عنه في الحفل الصاخب، ولم نعثر عليه قط.
وغادرنا، كان أول شيء فعلناه، بحثنا عن القط، وأخذنا
نتأمله بعمق معا، وفي اللحظة نفسها، أخرج كلانا
هاتفه ليلتقط صورته، أنا وزوجتي والقط، وظللنا
نقلب الصور طول الليل، بعدها قلنا في صوت واحد
يشبه الاستسلام، لقد كان الرجل محقا تماما.

مئة

على جواده، حاول أن يحصي من استعبدتهم بعد معركة كبيرة، استولى فيها على المدينة كلها، إلا من قتل منهم، فما أمكنه ذلك، فاستل سيفه، وأمر جنوده أن يرصوهم صفوفًا، فما استطاع رؤية آخر الصفوف، فصار يمر بين الصفوف، وكلما ينتهي من عد مئة، يقطع كف واحد أو واحدة ممن استعبدتهم، وصار ذلك طقسًا، ولما أصابه التعب حينها، أمر الجنود أن يفعلوا مثلما فعل، ثم قاموا بجمع الأيدي، من بين الصفوف الباقية، حتى صار لهم تلالا عالية من الأكف النازفة، وراحوا يتلاعبون بها حتى الفجر، ولما صحوا، وجدوا كل كف واقف لصق أخيه صفوفًا بالمئة، تكاد تلمس السماء، والأحياء منهم يصرخون.

الأشقر

جلس ممتعضاً، فظننت أنه متعب، لاحظت أنه ينظر بما يشبه الغيظ، لصاحبنا الثالث، وللصندوق الكبير الذي وضعه بجانبه على أرض المقهى، كلاهما من بلد غربي واحد، ويفهمان بعضهما أكثر بالتأكيد مما لا أستطيع فهمه يوماً، ومع الشاي سألت صاحبنا الشاب الأشقر عن عمله، فتبرع صاحبي الشيخ بالإجابة عنه: تاجر، فسألته وفيم تتاجر؟ فقال الشاب: من عدة سنوات خلت، كنت يوماً أمشط شعري بزيت من صنع بلادي، وكنت أقيم وقتها في بلد إفريقي فقير، سألني شاب من تلك البلد عن ذلك الزيت، فأعطيته إياه، فصار يسألني عنه كلما رأيته، وعرفت فيما بعد أنه ورفاقه يشربونه فيسكرون، من هنا بدأت تجارتي الرائجة.



قدر

هكذا يقودهم الزعيم بحماس نحو لا شيء، وكلما فكروا فيما يفعل، لا يفهمون شيئاً، وكأنه قدر سلط عليهم، وكلما فعلوا شيئاً من تلقاء أنفسهم وجدوه ناقصاً إلا بالزعيم، ولا يجرأ أحد على الخروج من القطيع، هم في قرارة أنفسهم يعملون فقط، أما التفكير فله ناس آخرون غيرهم، ربما من طينة أخرى غير طينتهم التي جبلت على السمع والطاعة، فحياتهم محض أوامر من الأعلى، تسقط عليهم فجأة، وكأنهم يستحقونها، وكأنها فصلت عليهم، وحين يموت الزعيم فلا ينتخبون أحداً منهم، وإنما يأتيهم الأمر كذلك، ويتوج الزعيم، وخلف كل زعيم فئة بالسياط، وأخرى بالكتب المقدسة، فإما بالسياط يساقون، أو بما ينقلون من الكتب.

مقام

ذلك الرجل الضرير الذي دائماً يجلس صامتاً مبتسماً على مفترق الطرق، قرب بيت جدتي القديم حيث المصطبة من الطوب اللبن، لا يبرحها أبداً، إلا للصلاة بالجامع، منذ عرفت الدنيا، أراه على ذلك، وبعد حين أدركت أنه يختفي عند موسم الحج كل عام، ويعود بملابس العيد أكثر شباباً كل مرة، وسمعت الكثير عنه من سكان قرיתי وممن غادروها، بعضهم يقسم أنه رآه يطوف بالكعبة مبصراً، ومنهم من رآه يسقى ويطعم الناس والحمام تحت القبة الخضراء الشريفة، وآخرون رأوه يقدم الطعام للمساكين حول أضرحة أولياء الله الصالحين، بغير مكان، وحين غادر آخر مرة، حط نعشه الطائر وسط المقابر، فبنوا له المقام هناك.

كتاب

لما وقع ميتا بحثنا في ملابسه، وفي صرته التي يحملها دائماً معه، حين يمر من عام إلى آخر على المقهى، لم نجد شيئاً يدلنا على شخصيته، لكنني وجدت دفترًا مكتوبًا بخط رديء كرسائل ورسوم، لما انتهى الأمر، وأخذوا الجثة بعيداً، لم يكن الدفتر ذا بال، فأخذته معي، وظللت ليال حتى أفهم إنه مكتوب بخط لا يقرأ إلا في المرأة، وحين أحضرت المرأة انكسرت، فأحضرت قطعة منها فتفتت وصارت كالرمل، بعد أيام أحضرت مرآة أخرى فصارت رمادا أيضاً، لما ذكرت اسم الله وأحضرت مرآة جديدة، رأيت الكتاب يشتعل، ويتحول للرجل بكامل ملامحه، ويطير في الهواء، ويتخبط بجدران الغرفة ولا يحرق شيئاً.



خوف

رأى الأشجار تحت وطأة الليل رؤوسا تتصارع، في معركة بين عماليق، وبدا له أنه بين أرجلها تماما، ومن الممكن أن تدهسه في أي لحظة، فصار لا ينظر للأرض، وإنما شخضت عيناه لتلك الرؤوس، حتى ذلت قدمه فتدحرج ساقطا بالترعة الراكدة، التي سمع عن مقتوليتها وغرقاها من تحولوا إلى مردة وعفاريت وجنيات، خرج منها يزحف على أربع، وهو الذي ما عرف العوم يوما، وظل يركض عبر الحقول، ولم يتوقف حتى النور عند بيوت القرية، الكلاب تنبح بشدة، وقرآن الفجر، والريح تصفر، ونهيق حمير، وهو يركض خلف الكلاب بالحجارة، وإذا بيد أبيه قرب باب البيت تقبض عليه، أين كنت؟؟ فيسقط مغشيا عليه.

عطاء

صحت مع الفجر كما اعتادت، خرجت خلف البهائم مع أبيها، وجدت قطعة معدنية بجيبها، فأخافها ذلك، فأعطتها براءة لأبيها، فأخذها فرحا، وسألها من أين لك هذا؟ فقالت وجدتها، في اليوم التالي وجدت عملة مماثلة، واليوم الثالث، فجلبوها واستجوبوها وهددوها وضربوها، عليها تخبرهم عن يعطيها المال، فأبلغتهم أنها تنام وتصبح، فتجد القطعة النقدية في جيبها، فأفرغوا جيوبها تماما، ونامت أمها وأختها لصقها، ولما أصبحوا وجدوا القطعة النقدية اللامعة، فقبّلوها جميعا، وشددوا عليها ألا تخبر أحدا بذلك، لكنها براءة قالت لعمتها وخالتها، فانقطعت النقود، لكن بعدها كانت تتعثر بحجر كل صباح، فيدمى إصبعها، فتجد القطعة عند الدم تماما، ثم أخبرتهم، فانقطع المال.

شبح

لا موقع لقدم والمقهى صاحب جدا، الدخان ورائحة القهوة وأحاديث الناس تدفيء المكان، مع منتصف الليل تماما، هبت ريح باردة، انتبه لها جميع من في المقهى، لحظتها تماما، دفع باب المقهى شخص أبيض الشعر واللحية، بعصاة مطفأة تشبه سواد عينيه وعباءته، جلس وحيدا، وفي محيطه خلت الطاولات من الحياة، لم يسأل أحدا شيئا، وجاءته قهوته وشيشته، شربها ومضى، هبت ريح أكثر برودة حين غادر، من ساعتها بدأت ألاحظ الشيء نفسه، يحدث كل مساء، تبعته مرة، رأيته يختفي بعد شارعين في الظلام، في الحقيقة خانتني الشجاعة أن أتبعه أكثر؛ سألت عنه حين افتقدته يوما، فأخبروني أنه والد صاحب المقهى يرحمه الله.



سر

لم يأتِه النوم، مع أنه كان مجهداً، كذلك الشخير والتقلب، كأنه بحظيرة تخور فيها الأبقار، نظر من باب الخيمة للقمر، فقام خارجاً، ومع النسمة الرقيقة للهواء والسكون، بعيداً عن الخيمة ملح شيئاً كأنه البرق يصعد الجبل، أو يهبط منه، لم يدرك لحظتها ما الذي حدث، إنما هو شيء مضيء يتحرك، فانخلع قلبه، وهم بالعودة للخيمة، فاستوقفه جندي بملابس عسكرية غريبة، وكشاف مضاء، وسأله كلمة سر الليل، فنظر إليه ببلاهة، نعم؟؟ فأشهر سلاحه القديم جداً في مواجهته، فتمتم سر الليل.. أنا لا أعرف ما الذي تعني؟؟ فقيده وتركه، واختفى كأن لم يكن، في الصباح وجدوه مكوماً بين الحجارة، وقد أصابه الشلل.

يقين

أيقظ كل من في البيت، كي يروا تلك الحمامة الغريبة التي حطت رحالها على نافذته، وظل يداعبها، ولما دخلوا غرفته، وفتح لهم نافذته، طارت ولم يرها أحد منهم، وظلوا يعيرونه بما يرى من خيالات، فأغلق بابه دونهم، فجاءته الحمامة، فأمسك بها، ولما خرج بها لهم، لم يرها أحد منهم، وظلوا يضحكون، ولما طارت منه نحو سقف الحجرة، ظل يطاردها وحده، وهم يتصايحون، مجنون أنت، ولما أخفق في اللحاق بها، وقفت على مسند الكرسي المذهب، فنظر إليهم، وطارت ثانية وصعدت إلى رف المكتبة، فأشار إليها، أترونها؟؟ إنها هناك، صرخ فيه أحدهم.. أفق يا أخي.. أين تلك الحمامة؟؟ فجأة حطت فوق رأسه.

عائلة

ذهب الرجال لقيلولتهم المعتادة تحت الشجرة الكبيرة، وإذا برجل يصيح، ثعبان.. فهرعوا إليه من يحمل فأساً أو بلطة أو عصاة، رأوا ذيله الطويل جميعاً، فعاجله أحدهم بفأسه فقطع بعضه، وهرب الثعبان، تسمروا جميعاً مكانهم، بدأ شيخ كبير في تلاوة تعاويد وآيات القرآن، وعادوا تحت الشجرة، جميعهم هرعوا للزير إما يشربون ويغتسلون؛ في اليوم التالي، وهم يتناولون غداءهم، بنفس البقعة تحت الشجرة، رأوا ثعباناً آخرًا، أكبر وأطول، هم أحدهم بسحب فأسه، فنهاه الشيخ فتوقف، وظهرت الحية مقطوعة الذيل من الجهة الأخرى، فأسرع الثعبان الأكبر ناحية الزير، ودخله، وتمطع فهشمه، فوقف الرجال، وأسرع لِحَيْتِهِ وابتعدا، والشيخ يردد يا الله، ولم يرجعا أبدا.



انعكاس

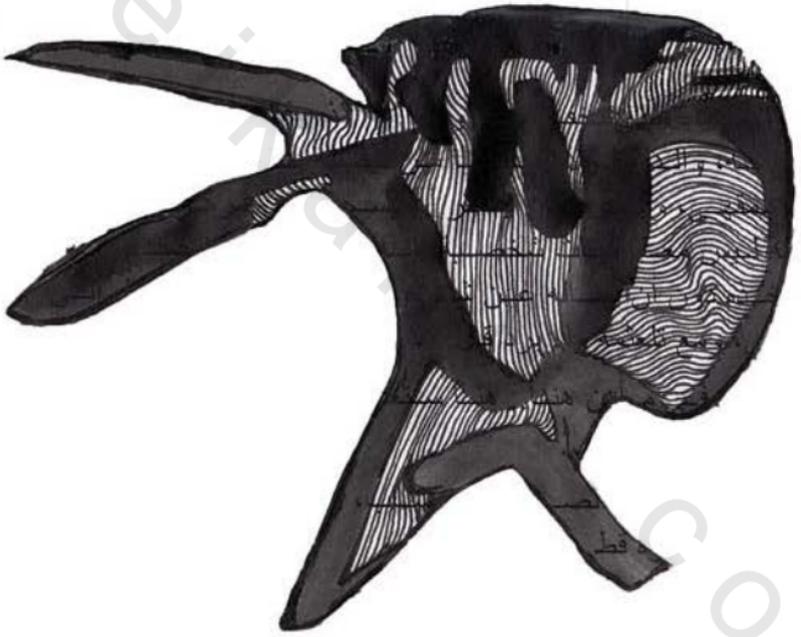
في هاجرة الصيف تخرج تلك الجنية، شعرها ذهبي
يضوي بالشمس الحارقة، كاشفة عن ثدييها الفلاذيين،
أظافر أصابعها طويلة بشكل مخيف، تطولك أينما
كنت، ولا يرى لها أقدام، عيونها عميقة كالبحر،
من ينظر فيها لا يعود أبدا، تتراكم في السكك
المتربة، وتستدرجك إلى فرع النهر سريع الجريان،
فيجدوا جثتك هناك عند الجسر البعيد، كجثث
كثيرة استخرجوها عنده، فانتبهت إلى لمعة شيء
كالذهب، نهق الحمار وتسارعت خطواته، وما يلمع
يختفي ويظهر بقوة أكبر وأكبر، وسكت كل شيء في
الكون، لم أفق إلا وقد سقطت عن الحمار بالترعة،
ممسكا بقطعة مرآة كانت تلمع بالطين، حاولت
أن أجذبها بقدمي وأنا على ظهر الحمار السريع.

غفوة

تركنتني أضرب الأرض بقدمي، ودخلت في غيبوبتها الأبدية، كانت وعدتني أن تعود، ولم تعد، لكنني أراها كلما زرت المدينة الجميلة، وفي كل الأماكن التي أكلنا وشربنا بها، ليس كذكرى، كنت في الحقيقة أراها في كل امرأة أجنبية لها لون شعرها، واستدارة وجهها ولون عينيها، وثنايا جسدها الممتليء، في ضحكتها البريئة، ولكنها، وإشارات يديها وأصابعها، لكنني لم أستطع نسيانها، كل لحظة تضيف لعالمي روحا جديدة، أتأملها فأعيد قراءة ما لدي، وما أعطتني، وبالمقابل، أسأل نفسي ماذا أعطيتها غير روحي؟ تلك الشخصية المكتوبة بعمق أخاذ في رواية جميلة لكاتب بديع، هي لم تذهب لأي مكان، أنا الذي نمت، وأنا أقرأ تلك الرواية.

خلق

الأسد يأكل تينًا، وله قرون ثور تشتعل، والمملك الأسود الناري يمكنه أن يذهب لأي مكان يريد، ويتبعه خلق كثير، والملح مزروع في كل الأرض، وبعد دمار القرى أكلت ترابها الحيات، وصار الطير يسير على أربع، لكن هناك الماء، فالمملك الناري تحرقه قطرة ماء، ويأكله الذئب، ولكن يقتله العطش، فيعوي، وتركض خلفه الكلاب، والحملان وادعة ببراءتها ترعي في الحديقة الخضراء، وعند ظهور القمر تخرج الجنيات، وعدوني أن أتزوج واحدة عند اكتماله، فأين يذهب ابن الإنسان في تلك الغابة، فوقه الشرير، ومن تحته بنات الجن، وعلى الأرض البراكين والزلازل والزوابع، ينسى ابن الإنسان أن خالق كل هؤلاء الحي، وأن هناك للحب مكان.



منطق

أحتاج مثل الشجرة أن أتخلص من بعض الأوراق والفروع البالية، وككل خريف مر بي ليس لي هم سوى مراجعة العمر، وربما لأنني صرت في خريفه أيضا، صرت بقسوة أكبر، وأرى الوقت يضيق، وأفكر أكثر فأكثر، وعرفت كم أن الحياة وخياراتها مربكة حقا، فغدوت أعمد للاختيارات المتاحة وأقلل منها، وبالورقة والقلم أكتبها وأمحوها كل مساء، فما يمكننا فعله بسهولة لا نقوم به لسهولته، أما الأصعب فمستبعد أصلا، لتظل الممكنات باحتمالاتها الكبيرة تشكل الحياة، وأن المستحيل هو ما يصنع العظماء، وبقدر صعوبته يكونون، فقررت ألا أحاول أن أكون عظيما، وفضلت أن أبقى هكذا مجرد إنسان، ربما العظمة عند بعض البشر محض قدر.

فهم

لم ير غير وحوش يأكل بعضهم بعضا، والغش والفساد بكل مكان، هذه غابة، الحياة ليست هكذا، فسار يبحث عن الله، وجد نفسه يصعد الجبل، خاليا تماما للصمت لسنوات طوال، حتى سمع صوتا بقلبه، أتظن أن الله خلقك كي تعتزل أبناء جنسك، وتكون وحيدا هكذا؟ ماذا أفعل وقد تحول الناس لوحوش كاسرة؟ نزل عن الجبل، وسار وتأمل الناس هادئا، واختلط بهم، دون حاجة من أحد، فعرف كثيرا عنهم، فكرههم وأحبهم واقتنع لولا هذا ما كانت الحياة ولا جنة أو نار، على ماذا سيحسابنا الله؟ إن كان كل إنسان يعيش وحده بلا خطيئة؟ أن تخطأ وتتوب، ستعرف نفسك، فتعرف ربك، وتفهم الحياة.

موقف

كلما هم بكتابة شيء، طالع كتبه، لا يقرأها، وإنما ينظر في كلماتها، وكأنها يزنها، ويجمع كلمات، ويعيد كتابتها في جملة، غالبا لا يجمع من الكلمات إلا ما يتوافق مع حالته، فكم ضبط نفسه متلبسا بتريد كلمات بائسة كحالته، وكان يترك ما يكتبه ليلة واحدة، وفي اليوم التالي يعيد قراءته على نفسه، فإن وجد نفس الحالة، استمر مطمئنا لما يكتبه، ويزيد عليه ويحسنه، وكأنها وجد المفتاح لما يريد، وكثيرا ما مزق أو محا ما يكتبه في تلك الليلة لمجرد شك فيه، وتذبذب ما كتب، فلا يكتب إلا قليلا مما استحوذ على فؤاده وعقله كاملا، فلا يجد مفرا من إفراغه في الورق.



معرفة

أعطيت لنفسي ألف عنوان واسم ووصف، وتركتها جميعا عند أول امرأة حقيقية أحببتها، وقلت لها سمني، فأعطتني يدها معنى، وشفاهها جسدا، وتهت في العنوان، ونسيت كل أسمائي، وضاعت كل أوصافي، وعرفت أن امرأتي محض خيال، رحلت أفتش عنها، فقال حكيم هي فيك، فلماذا تهرب منها، وخارجك ليس من شيء سوى الوهم، فغدوت فزعا من نفسي، أي امرأة تلك التي سأجدها مني، وفي، وكلي آلام وجروح، وحين خلعت نفسي عن نفسي، وجدت الله الذي أحياني، وفنيت عن نفسي، فأوجد لي روعي، وتركت روعي فأحياني ثانية، وأماتني فيه، فعرفت الحب، وتبعني كل ما في الكون، وأصبحت كل ورود العالم تثبت في كفي.

الفهرس

٤٤	سراب	٥	مقدمة
٤٥	حيلة	٨	حسبة
٤٦	جنون	٩	دائرة
٤٨	رحالة	١٠	ششاء
٤٩	الطوق	١٢	حالة
٥٠	عابر	١٣	جريح
٥٢	لسعة	١٤	عقد
٥٣	إغراء	١٦	إجهاذ
٥٤	كشف	١٧	عمل
٥٦	بالون	١٨	الظل
٥٧	جبن	٢٠	صدام
٥٨	شفقة	٢١	للسماء
٦٠	طير	٢٢	إرغام
٦١	حكاء	٢٤	جرأة
٦٢	الثلج	٢٥	حالة
٦٤	إيمان	٢٦	إمام
٦٥	كمد	٢٨	نادل
٦٦	ملاح	٢٩	غثيان
٦٨	تفاحة	٣٠	قزم
٦٩	سم سم	٣٢	رؤية
٧٠	نشيج	٣٣	يوم
٧٢	حدس	٣٤	عجز
٧٣	ألوان	٣٦	تماسك
٧٤	نموذج	٣٧	كسر
٧٦	اتجاه	٣٨	نظرة
٧٧	الشمال	٤٠	تجربة
٧٨	الحلم	٤١	صندوق
٨٠	حوار	٤٢	موقف

١٢٢	كتاب	٨١	وقت
١٢٤	خوف	٨٢	الوردة
١٢٥	عطاء	٨٤	طيف
١٢٦	شبح	٨٥	الشيخ
١٢٨	سر	٨٦	السُّم
١٢٩	يقين	٨٨	جرس
١٣٠	عائلة	٨٩	قديس
١٣٢	انعكاس	٩٠	خيال
١٣٣	غفوة	٩٢	استراحة
١٣٤	خلق	٩٣	هي
١٣٦	منطق	٩٤	لحظة
١٣٧	فهم	٩٦	إخلاص
١٣٨	موقف	٩٧	ماوى
١٤٠	معرفة	٩٨	تلاعب
		١٠٠	حسابات
		١٠١	مسافة
		١٠٢	وهم
		١٠٤	مازوخية
		١٠٥	استحواذ
		١٠٦	فشل
		١٠٨	انكسار
		١٠٩	أم
		١١٠	الولد
		١١٢	وعد
		١١٣	عودة
		١١٤	نزوة
		١١٦	لقطة
		١١٧	مئة
		١١٨	الأشقر
		١٢٠	قدر
		١٢١	مقام

أشرف إبراهيم

كاتب وفنان وناقد تشكيلي

ashrafkaskia@yahoo.com

متفرغ للكتابة والفن التشكيلي منذ ٢٠١٠

نشر له كتاب «الفن بناء: دور الفن في الارتقاء بالمجتمعات الحديثة دار ابن رشد، القاهرة ٢٠١٤
نشر له ديوان «ما تبقى من سيرتي» ٢٠٠٥، وديوان «قصائد لها وحدها» ٢٠٠٦ على موقع كتب عربية.

www.kotobarabia.com

نشرت أشعاره وأبحاثه ومقالاته في مجلات الشعر والثقافة الجديدة وأدب ونقد والشموع وسطور وغيرها من المجلات المتخصصة، وجرائد الشرق الأوسط والحياة اللندنية وغيرها. ونشرت مقالاته بالإنجليزية في مجلة كايرو مجازين (Cairo magazine) ومجلة مدينة، بالعربية والإنجليزية (Medina magazine)
٢٠١٤ حصل على جائزة البحرين للكتاب، عن كتابه «الفن بناء: دور الفن في الارتقاء بالمجتمعات الحديثة»

٢٠١٢ حصل على منحة الزائر الدولي من وزارة الخارجية الأمريكية

٢٠٠٩-٢٠١٠ حصل على منحة التفرغ من وزارة الثقافة المصرية

٢٠٠٧ حصل على منحة الإقامة من وزارة الفنون والثقافة والتعليم النمساوية

